

مي زيادة في صداقتها

بقلم السيدة ودادسكايني



أقول مي : ان الصداقة تزرع الحياة ازهارا .
ولقد عرفت مي منذ الطفولة والحدانة صداقة هي اعظم ما في الوجود واصدق ما في الحياة ، ولعلها دون غيرها لا تخون ولا تزول ، تلك هي الطبيعة فقد صادقتها « مي » في وحدتها وغريبتها طالبة صغيرة في عينسوره بلبنان ، بعيدة عن الدنيا ، كانت تنجلي في ظلال الشجر ومنسرح النظر الى شطوط البحر وهبات النسيم وخضرة الارض واطلالة الزهر في الربيع ، وكل هذا كان من كسلام صديقتها الاولى : الطبيعة في مجاليها ، ومن ها هنا قالت مي كلمتها الشعرية : « ان الصداقة تزرع الحياة ازهارا » .

وقد عرفت مي الصداقة في الطير فكان « كنارها » المحبوب بناقيا وتناهي في اشعاعه الصباح وفي انسياب العشايا ، ومن يدري قلل همسة سحرية من لغة سليمان في مكلة الطير قد مرت بروح مي وانسربت الى سمعها ولسانها فكانت تفهم ما كان يقول طيرها الحنون « بينسما كنت اقرا واضحك توقف كناري عن التفريد ، لينظر اليك كانه يقول : اينما الصديقة الكبيرة لاذا تفككين هكذا » (١) .

ولما مات الهزار بكته مي وكتبت في رثائه « طائر صغير احببته شهورا طولا ، غرد لكابتي فاطربها وناجي وحشتي فانسها ، غنى لقلبي فارقصه ، ونادم وحدتي فملاها الحنا » ولما وصفته قالت :

« امتزج ذكره بحياتي فحل عندي محل صديق « كان طائرا صغيرا نسجت اشعة الشمس ذهب جناحيه وانحني الليل عليه فترك من سواده قلة في عينيه ثم سقطت عليه يد البشر فضيقت دائرة فضائه وسجنته في فقص كانعشه في حياته وتعبه في معائه » .

« في الصباح كنت اجلس للدرس والتجوير فتشتمس نفسي احيانا من ميوس الكتب ويقف يراعي في يدي فيأخذ كناري في الزفوفة والتفريد وناتي جماعة طير من الخارج فتوجد التفريد عند نالدي كما تمتزج الاالحان في قلب الامواج ، اذ ذلك تبسم الافكار على صفحات الكتب امام ناظري ويتمايل قلبي تمايل الصفصاف عند الغدير » .
وصادقت مي الفن ، فكانت الموسيقى والانغام تبادلهما جا بحب منذ فتحت فيها المواهب وهي طالبة في المدرسة ، فلذا خلّت الى نفسها جعلت اصابعها تداعب

اصابع البيانو او اوتار العود ، كانت البيضاوت المرصوة وهي يوزع النغم تلمس بالحنان اتمل في النغمة التي كانت تشبهها بلونها العاجي ، واما الاوتار فكانت لديها بمنزلة نياط القلوب ، لقد سمعت مي ترجيع اوتارها وفهمت عنها ما قالت في المودة والسلام ، وما عرفت الموسيقى الاعاني الانسانية المجردة عن البغضاء والمكابد ، ولا بدع اذا احبتها وتخلت ان السماء جوقة موسيقية بارعة تعزف من الاالحان الربانية ما لم تسمعه من هذه الارض اذن ولم يخطر منه على قلب بشر » .

وقالت : ان الموسيقى لتخاطبني بلغة ليس اقرب منها الى ادراكي وعواظيها ، انها تنجلي اجنحة وتطير بي الى عوالم لا يطررها غيرها . « اشرك اللهم لانك فطرتني على حب الموسيقى والجمال » (٢) .

وحين ادرت مي ان الانسان لا يستطيع ان يعيش وحده ، وان صداقته لغير الانسان لا تشبع مزاجه ولا ترضي طبيعته واهدافه فتحت قلبها وبيتها للصداقة والاصدقاء ، فذكرتني بنابضة القلم واللسان ابي حيان التوحيدي الذي وقف كتابا من امر كتبه واغناها بالفكر والفلسفة على موضوع الصداقة والصديق .

وابي حيان نفسه وقع فيما وقعت فيه « مي » من الايمان بالصداقة حتى كفر بها مثلما كفر بعد حين ولو انهما معا تذكرنا قول الشاعر :

موى القلب عاشت في القلب لغوى وصوت انسان فقد افسر لانكر كل منها على حدائق التجارب والسن فكسرة للصداقة والصديق ، ولو علنا محنة مي وحللت اسبابها لوجدنا خلوا قلبها من الصداقة والصديق بعد ان امتلا بها ، هو من جملة الاسباب في تلك المحنة ، فكان من غنى افتقر تمنى الموت في حال فقره ، وكم من امرأة وقفت امام المرأة فجعلت تعد سنينها وتأمل في وجهها وهي تذكر شبابه فتضمت الموت ، واما الملوك والكبراء فكم اوصى الحكماء بان نرحمهم بعد عز ومجد ، فمن لمي بعد نذوتها المرأة بالصداقة والاصدقاء وامتلا قلبها بالاخوان بعد وفاة امها وكانت لها الصديقة الصداقة التي استأثرت بها واهدتها لحياة دلال لا تعرف الكفاف .

وربما لم تسعد امرأة في حياتها بالصداقة مثلما سعدت مي بامر الوائها وبأرفي الاصدقاء - والصديقات مكانة وفكرا ، ويقول الذين عرفوها انها كانت ترعى حق هؤلاء ، وتقدر تقاليد المجتمع تجاه صديقاتها من غير ملتها ، على اني لا استطيع ان اجد هذه الصداقة جذيرة بالتخليد لانها انفضت عن مي حين ادركتها المحنة ، وانقلب ذلك الود الى اشفاق عليها من بعد ، وولما لمصرها ، ولو قدر لها ان تكتب خاطرها في مؤزنها ومحتجتها لتصب غضبها على الصداقة الخائبة التي تراءت لعينها في اخر حياتها كالسراب .

وتلفتت مي في محتنتها لترى صديقتها ينت حسواء ،
هل سألت عنها ونفقتها بعد ان تخلف الاصدقاء من
الرجال لا توجد تلك اخلوب الندايا التي ظلمت ادعت
الاجباب بها وبأبدائها والشوق الى لقائها والحنان لديها قد
جفت وصارت على القرب والبعد حجارة لها وشوكا ،
وكانت مي تنتظر ان تنسيها النساء قسوة الرجال .

وهذا الامر لم يكن في الفلسفة التطبيقية لم وعدها
عندنا انها كانت في كل شيء قل او كثر وبعد اودنا مثالية
ليدا والغاية ، وكم من عظيم من الرجال والنساء من
اسماق التاريخ حتى اليوم كان ضحية مثاليته التي اقام
عليها وعاش فيها ، ولو وقفنا من موضوع الصداقة عند
مي موقف الناقد العادل لوجدنا ان ميا ربما كانت هي
المسؤولة عن تخلي الاصدقاء عنها بسبب الاحتراز الذي
طبعت عليه وعزة النفس التي كانت ترافقها في سيرتها
وحياتها كلها ، فهي لم تلجأ الى صديق او صديقة حين
اغلقت بابها وقضت الصمت والعزلة ، وقد جاءها بالرغم
من سدودها التي اقامتها بينها وبين الناس من يسأل عنها
ويقف بابها طويلا (٢) فكانت لا تجيب ولا تأذن لاحد
بالدخول فحسانا منها بانهم ظلوا بها ماهاهم ، بعد ان
غلب بها بعض أهلها في عدوانهم على تراثها الذي كانسوا
يرغبونه على نار .

على ان اصدقاء نفسها تأبي ان تزول من المعاجم ومن
لسنة الناس وقلوبهم ، لانهما بحق مهما اضرها من المشاب،
تظل صفة الهية بين الانسان و أخيه الانسان ، وهي ادا
تأبت فلا بد ان تستقط واذا شردت فلا تلبث ان ترد ،
واذا غابت فانها لا بد ان تعود ، ومهما يتجهم وجهها
فلا بد للإتسامة ان ترجع الى محياها ، وقد عادت الى
مي وهي في اشد الحاجة اليها حين حجت من الإعيان
في المستشفى ، فأطلت الصداقة عليها وهي راغبة في
سريرها معذبة في نفسها وجسمها ، وفي وجوه جديدة
وقديرة كانت غائبة عنها ، فلما التمت لديها المأذبر
تقبلتها عاتبة واجمة حتى ارتدت اليها حريتها وخرجت
من المصحى الى منزل خاص بها في رأس بيروت ،
وهناك تجددت الصداقة بينها وبين الدين سافوهرها
وانصفوها (٤) وكان الوجه الحسنون الذي لازمه في
ساعاتها الحرجة وحدها المضنية ، وجه فتاة مثالية
كريمة المنبت والانسانية افاضت الكثير من صباها
وحناها على مي فأنعشتها كما ينعش الماء النبات الجاف
في وجه الشمس وهذه الفتاة الحسنة ذات المسروعة

(١) من مذكرات مي . (٢) ازهار حلم في . (٣) هو صديقها الواسي
الفيلسوف الدكتور منصور فهمي ، ولد ردت له الزيارة بعد عودتها
من لبنان . (٤) منهم الاساقفة البير ادب وفؤاد حبش وسعيد عقل
والرحبانيان امين والبرت و خليل الطويري شقيق الفارس وانيس
تصنيف . (٥) من لفصل الرؤساء الذين تولوا الوزارة في زمن
الانتداب بدمشق .

واشد ما حزن في نفسها وعز عليها ان تنفقد الاصدقاء
في المرض والوحدة والعذاب فلا تجد مواسيا ولا مؤساة
ولا ترى قريبا منهم ولا غريبا ، ومن يدري فربما كانت
تمثل بحكمه من حكم ابي الطيب حين تلفت فلم يجد
صديقا واصياء البحث عنه فتمنى ان يجد عدوا مداحيا ،
فلم يجد ، ووجدت مي اقرب المريب والمستغل الحسود
والشامتة بمصيرها .

وكم اتخيل مي في شجونها وانقباضها وحيدة شريفة
طلع عليها في ظلمات ليلا مرده وشياطين يلقون الرب في
قلبا ويصرخون من جوانبها حتى ملأوا سمعها بمنكر
الاصوات وتراعوا لها بأيديهم موافد من الجحيم هجموا
بها عليها ليحرقوها ففرغت وصرخت فأنشدوا عليها
الناس بالجنون .

ولو انيخ لي في زحمة الهواجس والهجوم ، ان تزحج
عن منكبيها عيبه احزانها لتتسمت هواء الحياة كما كانت
تتسمة وانتظمت لنفسها من اصدقاءها الذين اهلوها
وتخلوا عنها او تناسوها ، فكنت فصولا خفاقة بالدم
والنار ، لكنها رأت ان تكتب بدون خط ولا سطور ، وان
تتكلم بغير تعبير ، فاختارت الصمت والاعراض عن كل
صديق حتى لو انها ملكت القدرة لأعزت عن نفسها ،
غير ان هذه النفس التي وجدت ذاتها مفترى عليها حبيسة
متهمة بالجنون كابدت من الهم والالام ما لم يكاد مثله الا
القليل من المعذنين في حياتهم ورسالاتهم ولو نصبت لحي
وهي تعاني العذاب النفسي في وحدتها صداقة انسانية
خالصة تخفف عنها يلوها لانستها ما حملت معها من ظلم
ذوي القربى الطامعين في مالها ، ولم تكن في ذات مرة
لكنها ود الاصدقاء وحيدة وما ادخرت لكونها كان يكفها ،
كيف تترك من غير تفتيش او افتراء .

على ان مي اخطأت في حسانها للصداقة والاصدقاء
واعتمادها على دوام الصداقة ، وكيف خفي عليها وهي
الدكية اني مررت موافق الامور واوالها ان الصداقة
تشبه الزهرة وان لها عمرها ومطرها ، واذا لم تكن
قائمة على تبادل المنفعة فانها لا تدوم ، وان دامت فلا
بد ان تتحول او تتبدل ، غير اني اعجب لمي كيف كانت
تنتظر ود الاصدقاء في عزلتها وهي التي تجافت عنهم
منذ دعتها الدواهي واكثر الوحدة ؟ . وهل فانها ان
الذين آثروها بودهم وتهافتوا عليها بالحنان والاعجاب
في شبابه وتائق ادبها لم يشدوا عن طباعهم اذ كان من
شأنهم الاقبال على الانثى طالما وجدوا لديها ما يطيب لهم
فيها ؟ وقد طاب لهم في مي ثقافة المرأة المبكرة وسحر
فنها وحديثها وروعة تدونها كل ذلك كان في اطار انوثتها
العذبة وظلمتها الجاذبة فلما ولي شبابه وفاض من روضها
الماء وذوي الزهر ولم يبق ذلك التسيم العليل يمسز
القصون كان من الطبيعي فيما فطر عليه الناس ان
يعرضوا عن الحديقة المقفرة .

من وهي مباد المسبح

فجلا بفرته الظلام من الثرى
ولد المسيح فما أبصر واطهرا
فخرا سيخلد في الدهور مسطرا
من نعمة اذ فاض كفك كوثرا
ان كان شكك في يدك فتبترا (١)
كادت بنسا الآلام ان تتفجرا
ويكاد قلب المرء ان يتفطرا
زينت شمري في مديحي جوهر
وجعلت مدحي في المسيح مكفرا
ومحبتني في مثله لا تمسرى

وجعلت شرعته الحكمة في الورى
بين الصهاين اللثام مفعرا
وترى العقول تباع فيها تشتري
وهو هو ابدوا الحديث النكرا
ورموك بالقول البذاء الفتري
تبت يدا من رام منك تقبيرا
حتى بلغت من العلا سامي الذرى
فكانه نادى السحاب المطرا
فسهرت ليلي تاركا حلو الكرى
ومرتلا آمات قلبي شاكرا

عبد الخالق عبد الرحمن

في يوم مولده المرة في الورى
واذيع في طول البلاد وعرضها
فليفخر التاريخ في اسفاره
لا ينكر الانسان ما اوليته
قال المسيح وفي الحديث هداية
ولطالما اشتقنا لقرب طالما
تهفو النفوس لحبه مشتاقة
ولقد نذرت الى المسيح قصيدي
ونظمت من طيب الولادة ناشدا
ورجوت منه غفر ذنبي في الدنيا

يا من عرفت الرفق في انجيله
وتركت موطنه العظيم مقصا
حاشاك ترضى يا يسوع مذلة
يا سيدي اضحى اليهود بقدسنا
جحدك في القوالهم وفعالهم
كفروا بهديك اذ قدمت لنصرهم
وسعوت في بث الكارم في الورى
واذا امرؤ ناداك في صلواته
وتكلمتني من رؤاه بعشبة
ونظمت شمري في هواه مفعرا

بغداد

(١) جاء في الفصل العاشر الآية ٢١ من انجيل مرقس « فان تكلمت

يدك فاطمها فخير لك ان تدخل الحياة وانت قطع من ان يكون لك

يدان ولذهب الى جهنم الى نار لا تطفأ . »

وحين اطبقت عينها الى الايسد كان بجانبها اربعة
اصدقاء صامتين بغير دموع ولا شغفات وكانهم مثلها قد
اطبقوا انفاسهم ، كانوا اربعة كتب في اربع لغات اتقنتها
« باحثة البادية » « غرازيل » « دليل حلمي التال » ،
« صورة دوربان غراي » .

فاذا ضاعت صداقة مي في الدنيا فان في اديها وتخليد
اسمها وراء القبر صداقة لا تبلى ، ولها فيما تركت من
آثار وقيما تأثر به الادب والادباء الذين سمعوا اليها وقدروها
تقدرها في عمرها الذهبي بقاء الذكر الذي تزيده السنون
تجديدا وتريدا .

وداد سكاكيني

دمشق

والشهادة هي بدرجة عطا الايوبي (٥) التي لا تزال تعيش
على ذكرى صداقتها لي ، وتأسف انها عرفتها وهي
كوكب يسري الى الغروب .

وقد كانت هذه الفتاة المثقفة الشاهدة اللازمة لي في
وحشتها وانسها وفي خوفها وامنها وقفت منها على
حقيقة محنتها التي اهتمت فيها بالجنون .

فاذا قالت مي عن الصداقة في شبابها ومز اديها انها
تزرع الحياة ازهارا فما اجدها بان تصور الشوك الذي
يرافق الورد ، لتتم فلسفتها الوضعية وهيئات فانها
خرجت من الدنيا بدليل مادي على شوك الازاهير الذي
ادمى قلبها .

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العودة الوثائق » في لندن

كانت الفلسفة في الغرب في عصورها الحديثة متقسمة إلى اتجاهين : اتجاه أوروبي يعتمد على تعظيم العقل واتجاه تكليزي يعتمد على التجربة والاختيار . فبينما كان الفلاسفة في أوروبا وخصوصا في ألمانيا يرون أن العقل هو المقياس لكل شيء ، كان الفلاسفة في انكلترا يشكون في مقدرة العقل وحده على القيام بهذا الدور ويرون أن التجربة والاختيار هما الحكم النهائي على صحة الأفكار والنظريات . ولا يزال هذا الاتجاه سائدا بصورة عامة في بريطانيا حيث يرتاب البريطانيون في النظريات المجردة والأفكار المنطقية الصرفة ، ويسرون أن التجربة خير برهان على صحة المنظومات الفكرية ، وعلى فائدتها من وجهة عملية . وهم بذلك أقرب إلى الفلسفة الغالية في أمريكا الشمالية ، وهي « الفلسفة العملية » التي تعتبر في خدمة الغرض المقصود المقياس الدال على صحة الأفكار والنظريات . ولعل هذا الاتجاه الفكري في بريطانيا وأمريكا الشمالية عموما قد حال دون انتشار الفلسفة الوجودية فيها .

ولم يغير هذا الاتجاه التكلو - ساكنوي ، وإنما الذي تغير هو الاتجاه الفكري الأوروبي . فبعد أن كان الفلاسفة الأوروبيون يعظمون العقل ويعودونه الحكم النهائي فسي معرفة الحقائق ، أخذوا فيما بعد في التحول عن هذا الموقف وفي الارتياح بمقدورته على إدراك التكون وحقائق الأشياء . وتزعم هذه الحركة ، كما قلنا من قبل ، الفيلسوف الألماني « كانت » . ومن جملة ما قاله هذا الفيلسوف أن للعقل دائرتين : دائرة تختص بالإدراك الحسي الذي يقوم عليه العلم الطبيعي ودائرة تختص بالدين والأخلاق ، وأن لكل دائرة من هاتين الدائرتين مقياسا خاصا . فكانه بذلك قد جعل الدائرة الثانية مرصدا يرقب منه التفكير العقلي ويحكم عليه بمقاييس مختلفة . وقال أيضا أن العقل هو الذي يضفي على الأشياء صفات غير موجودة فيها . ومن ذلك مثلا أن النظام الذي نشاهده في الحوادث الطبيعية إنما هو من صنع العقل ، لأنه هو الذي يجعلنا نظن بأن الحوادث تجري على نظام طبيعي ثابت . وقد خالف بهذا الإراء الفلسفية السابقة من حقيقة أن العقل ، ولناخذ لذلك مثلا الفيلسوف الإغريقي أرسطو . فإن هذا الفيلسوف القديم كان يرى أن المعرفة شيء والأشياء المعروفة شيء

آخر . والعلاقة القائمة بين العارف والمعروف لاغير حقيقة الأشياء ، بل يبقى الشيء المعروف على حاله ، وإنما الذي يتأثر بهذه العلاقة هو العقل لأنه ، على اثر هذا الاحتكاك ، يكون أفكارا وصورا عقلية فيه . وسار فلاسفة القرون الوسطى ، ومنهم الفلاسفة العرب ، على هذه الطريقة .

وكان ديكرت الفيشوف الفرنسي في القرن السابع عشر يعترف بوجود العالم كاعتراف الفلاسفة الإقدمين ، ولكنه كان يعتبر أن المشكلة الفلسفية الكبرى هي كيفية معرفة الإنسان لهذا العالم . فهو قد عاد إلى وضع ذي قطبين في علاقة الإنسان بعالمه : القطب الواحد هو النفس والقطب الثاني هو العالم . وصرف اهتمامه إلى القطب الأول ، وأخذ يتسائل من إمكان معرفة الإنسان لهذا العالم . وخرج في أفكاره الفلسفية التي أودعها كتابه « التاملات » إلى أن المعرفة تأتي من طريقين : الإحساس والعقل . ثم أدى به البحث إلى الشك في صحة المعلومات من هذين الطريقين ، وانكر أن يكون العقل أو الإحساس دليلا يعتمد عليه في معرفة العالم الطبيعي . ولم يبق لديه شيء حقيقي يعتمد عليه إلا الوجود ، وقال عبارته المشهورة : أنا أفكر فأنا موجود ، فالحقيقة الأولى الثابتة عنده هي أنه مفطور مفكر . وقال أن مجرد التشكك برهان على أنه موجود ، فالفكر في رأيه هو الماهية ، أو الجوهر وأن ما ندرسه بالعقل ليس إلا أعراضا لهذا الجوهر ، وأن جميع مدركاتنا لا تعمدى أن تكون مدركات فقط ، وأن العالم الحقيقي لا يزال منتعنا من شعورنا به . فتفن أن لا نعيش في العالم ، وإنما موجودين فيه ، وأننا نكون مدركاتنا صلات تربط بين شعورنا والعالم . وجواب الوجوديين على ذلك بسيط وهو أننا نعيش في هذا العالم .

فهذا الشد بين الفلسفة التي تؤمن بحقائق الأشياء مستقلة عن العقل والفلسفة التي ترى أن الأشياء عبارة عن أفكار أو صور عقلية ، انتهى إلى طريقة نالت وهي طريقة الفيلسوف الألماني أدمند هرسل (1809 - 1874) وهي المعرفة بالفلسفة الوصفية . ويجب هنا التفريق بين هذه الفلسفة والفلسفة الظاهرية . فإن عالم الفيلسوف يختلف باختلاف الفلسفة والنظريات الفلسفية . فعالم الحس العام يتألف في الغالب من اجسام أو أرقام مجسمة ، ولهذه المجسمات صفات مختلفة كالليونة والقساوة والحرارة والبرودة والحجم والشكل والثقل . وقد لا تكون هذه الصفات على حالة واحدة دوما بل تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال . فالشيء يرى صغيرا من بعدد ، ويكون ثقله في اليد اليسرى أكثر منه في اليد اليمنى ، وهكذا . ولكن هذه الصعوبة يمكن التغلب عليها إذا استعملنا المقاييس العلمية ، كان تقبيل الشكل والإبعاد بالمسطرة مثلا والثقل بالميزان والحرارة بميزان الحرارة وهكذا . فالمعلومات التي نحصل عليها باستعمال هذه

المقاييس العلمية تعطينا حقيقة الوجود والقوة ، والحرارة والبرودة والحجم والشكل والتشكل هذه المعلومات هي المعلومات الحقيقية ، في حين ان المعلومات الحسية المجردة هي المعلومات الظاهرية . فالصفات التي تقبل القياس وتحدد بالمقاييس العلمية تسمى « الصفات الأولية » والصفات التي لا تخضع لقياس تسمى « الصفات الثانوية » . ولكنها مع ذلك صفات حقيقية موجودة ، لا تقل في ذلك عن الصفات الأولية . فالاعشاب الخضراء ليست خضراء ظاهريا وانما هي خضراء حقيقيا . ثم ان الاعشاب الخضراء جميلة المنظر ، وجمالها ليس ظاهريا بل هي جميلة فسي الحقيقة . والجمال هنا مزيج من عوامل مختلفة . ولذلك اطلق على هذه الصفة اسم آخر وهو « الصفة الثالثة » .

اما عالم العلم ، خلافا لعالم الحس العام ، فيتألف من الاشياء التي يمكن قياسها . فهو اذن عالم الصفات الأولية . ولهذا فان العلماء يتكرونها الصفات الثانوية والثالثية . فالخضرة مثلا في رايهم ليست الا احساسا ناشئا عن بعض الامواج الضوئية التي تقع على شبكية العين . وهذه الامواج يمكن قياسها ، فهي اذن من الصفات الأولية ، وليس ضمن الصفات الثانوية . ثم ان الاجسام في نظر العلم عبارة عن جزيئات والجزيئات عبارة عن ذرات والذرة مؤلفة من اجزاء دقيقة اخرى او الكثرونات تدور في مدار شبه المجموعة الشمسية ، وهذه الاجزاء

الدقيقة عبارة عن شحنات كهربائية تسبح في الفراغ فالجسم الجامد الذي نعرفه بالحس العام عبارة عن فراغ في نظر العلم . ولذلك كان العالم الانكليزي ادوين شرودنجر ان الطاولة التي تجلس امامها طاولتان لطاولة الحس العام وطاولة العلم . ومعنى ذلك ان عالم الحس العام عالم يختلف عن عالم العلم . ثم ان ايشتاين انكر ان يكون الشيء حجم وشكل على وجه التحديد . لان هذا الحجم او الشكل يختلف باختلاف موضع القياس الذي نستعمله وسرعته في القياس . وعلى ذلك فان الصفات الأولية لم تعد صفات مطلقة ، بل اصبحت في نظر العالم صفات نسبية ، واصبح الانسان يشعر انه يعيش في عالم مختلف كل الاختلاف عن العالم الذي يعرفه ببدائه العقول . وكلما تعمق العالم في تقصي الاشياء وجد ان المقاييس نفسها التي يستعملها هي ايضا نسبية وليست مطلقة ، ووجد ايضا ان العالم الذي نشعر به وهم من الازهار . وتطرق الشك ايضا الى العلاقة المعروفة بين العلة والمعلول . واخذ العلماء يشكون في حقيقة هذه العلاقة ، فالرؤية مثلا تنتج عن الاشعة الضوئية التي تخرج من الشيء فتعثر في الهواء ، ثم تقع على العين وتسير فيها الى الشبكية فيحدث تفاعل هناك مع الاعصاب التي تنقل ذلك التفاعل الى الدماغ فيحفظها الدماغ ويصل الى نتيجة معينة او حلم معين ، بعد هذه السلسلة الطويلة من الالات والمؤثرات . وهنا يتساءل العلماء : كيف يصح لنا ان نقول ان الحكم النهائي للدماغ

يعطينا صورة مطابقة للشيء المنظور او شبيهة به ؟ فالصورة النهائية قد تكون ، بعد هذه التفاعلات والتطورات الطويلة ، شيئا يختلف تماما عن الشيء الاصلي . فلاحكام العقلية النهائية قد تكون شبيهة بشعور المريض بطعم المرارة في الماء العذب او شبيهة بانكسار القضيب اذا نظر اليه وهو في الماء .

وثمة عالم آخر . وهو عالم الماديين . فالفلان لا يجدون انفسهم بين عالين : عالم الحس العام وعالم العلم ، وعليهم ان يختاروا واحدا منهما ، ولكن المخرج الوحيد لهم هو ان يترقبوا بان احد هذين العالمين وهمي غير حقيقي ، او انه اعتباري محض . وهنا يأتي دور الماديين . فالماديسون يؤمنون بعالم العلم . ويعتقدون ان المادة حقيقة ثابتة اولية ، توجد مستقلة عن العقل ، وهي مصدر احساسنا ، وارتائنا وافتكرنا ، بل هي اساس العقل نفسه . فالعالم المادي ، في راي الفلاسفة الماديين ، هو الحقيقة الوحيدة ، والعقل مشتق من المادة . ولكن الفلسفة المادية في الماضي كانت تعتمد على القول بان الاجسام مكونة من ذرات وان هذه الذرات موجودة فعلا . وهذه فكرة قد تقصها العلم الحديث حينما اثبت ان هذه الذرات عبارة عن الكثرونات وان الالكترونات ليست موادا بالعلمسي المعروف . ثم ان العلاقة بين العلة والمعلول لم تعد قاعدة ثابتة مستمرة ، بل تبين انها تسير على مبدأ المتوسط الحسابي ، او الاحصائي ، مع وجود شكوك بزيادة وتنقص بحسب الاحوال . وتغيرت النظرة الى الزمن والفراغ ، والى المقاييس العلمية نفسها ، فالفلسفة المادية ، على اساس هذه الاعتبارات ، يمكن ان توصف بأنها تقوم على اساس واه . ولكن الفلاسفة الماديين الحديثين تحولوا عن موقفهم السابق الى موقف جديد ، وهو ان العالم الحقيقي هو العالم الذي يكشف عنه العلم ، فهو العالم الاولي والحقيقي وليس غيره . وهم مستعدون الى تقبل ما ياتي به العلم ايا كان ، حتى ولو لا بهم الامر الى تغيير فكرتهم عن المادة ، دون ان يتبعوا انفسهم في البحث عن كيفية معرفة هذا العالم . وهو الامر الذي اسفل بنا الى العالم الفرنسي ديكارت كما ذكرنا آنفا .

واذا كان لا يؤمن بالمادية ولا بعالم الحس العام ، فليس لدينا الا ان نؤمن بما نتلقاه من معلومات عن طريق الاحساس فقط بدون ادخال الفكر في ذلك ، حتى لا تقع قسي تعقيدات عن اسباب الادراك وكيفيته . فالعالم هو ما نراه ونسمعه ونلمسه ونشمه وكفى . فالمعلومات الحسية التي نتلقاها هي الاساس ، والفلاسفة الذين يرون ان العالم مكون من هذه المعلومات الحسية يسمون بامحاب الفلسفة الظاهرية .

وقبل ان ندخل في بحث الفلسفة الوصفية للفيلسوف الالماني ادمند هسرل . نود ان نلقي نظرة موجزة على ناحية من فلسفة الفيلسوف الالماني الاخر هينرشه (١٨٤٤ -

حب بريء

حب كجمر في الرماد
أبى الدنساء ، لا يقضي
يبنى وبينك شان ما
يقضي الوفا : حب بريء
شاذا القينا قد يسوح
شوقنا النظر الخبيء
حلب علي الناصر

ويصرف الفكر عما تشعر به فعلا في اختبارنا للاشياء . ولناخذ مثالا على كيفية هذا الاختبار . فاننا اذا نظرنا الى شيء مجسم امامنا فلا نرى منه الا جانبا واحدا ، ولا نرى داخله . فنحن نعرف اننا نرى هذا الجانب فحسب ، ولا نراه كله ، ولا نرى داخله . هذا هو اختبارنا لهذا الشيء . فلا يجب ان نتعدها وندخل في فلسفات عمن طبيعة هذا الشيء وحقيقته او عن صحة رؤيتنا له او غير ذلك . فهذا الانصراف الى هذه الناحية من الاختبار دون غيرها هو الذي يسميه هرل باسم « الانقلاب » . فالفيلسوف الذي لا يؤمن بالفلسفة الوصفية يبحث في حقائق العالم وفي التوصل اليها ، في حين ان الفيلسوف الوصفي يبحث في الصورة التي يشعر فيها الانسان بهذا العالم . فكان الفيلسوف هرل يدعو الفلاسفة الى التوقف مؤقتا عن التفكير في حقيقة وجود الاشياء الخارجية وعدمه وعن التفكير في عقول بعضهم البعض ، والانصراف ، بعد هذا التحرر ، الا وصف الاختبارات الشعورية ، بدون ان يتحموا انفسهم في هذا الوصف . وان يكتفوا بموقف المتفرج الذي يشاهد الحوادث عن بعد وهو منفصل عنها . فالمتفرج الذي يكتب تقريره لجريدة او اذاعة يصف ما يشاهده على ما هو عليه ، بدون ان يدخل في ذلك عواطفه او ميوله الخاصة .

هذه الفلسفة الوصفية هي التي كانت صلة التوصل بين كريكور الدانماركي وبين الوجوديين الذين جاءوا بعده . وقد تعددت نواحي هذه الفلسفة على ايدي الوجوديين المختلفين امثال هابيدكر - الالماني وسارتر - الفرنسي ومرلو - بونتي الفرنسي وغيرهم ، وهي ليست فلسفة جديدة بالمعنى الدقيق ، بل هي متأثرة بفلسفة « برتران » الوصفية (١٨٢٨ - ١٩١٧) وهذا بدوره متأثر بفلسفة ارسطو وفلسفة القرون الوسطى .

١٩٠٠) لان لهذه الناحية تعلقا بناحية من فلسفة الفيلسوف الدانماركي كريكور الذي يعتبر بانه موجد الفلسفة الوجودية . والناحية هذه هي الارتباط من المنظومات الفلسفية الشاملة التي تسعى لتفسير هذا العالم تفسيراً يعطي حقيقة بأكملها ، مما يؤدي الى الوجود في اراء بعد الانسان عن وجوده وعن معرفته البديعية . فالفيلسوف نيتشه يحترق هذه المنظومات الفلسفية ويدعو الى العودة الى الارض وإلى العيش الموجه نحو الارض . وهو على اتفاق تام مع كريكور في ذلك ، وكلاهما لم يشغل نفسه في تقسيم الوجود الى نفس وعالم ، كما فعل ديكارت ، بل اعتبر الوجود وحدة غير متصلة . ومع ان ديكارت اوغل في بحثه الفلسفي النظري ، الا انه فتح الطريق امام كريكور وغيره من الوجوديين بانه شدد على دور الانسان نفسه في معرفة هذا العالم . وفتح الطريق ايضا امام الفلاسفة الوصفيين ، ولا سيما هرل ، باهتمامه بالناحية النفسانية الفردية وجعلها اساسا لما يشعر به الانسان في اختياره لهذا العالم ، وكذلك نيتشه ، فانه يتوجه به الانتباه الى الارض التي نعيش عليها فتشع البلب امام التفكير في كيفية العيش وفي كيفية الوسايسل المؤدية الى اختيار هذا العالم . فالمسألة تدور حول ما تشعر به عند اتصالنا بالعالم كما هو ، وهذا هو اساس الفلسفة الوصفية .

ونحن نذكر ان فلسفة الحس العام تعتبر العالم مؤلفا من اجسام موجودة في فراغ وزمان وتخضع لبعض الملوكة المنتظم الذي يمكن التكهّن عنه بقوانين طبيعية . والعالم ايضا يسكنه ناس يتميزون عن الاشياء الجاذبة بوجودهم نفوس لهم . فالاشياء تكون حارة او باردة ، وجيدة او غير جيدة ، والناس يكونون صالحين او طالحين ، وشجعان او جبناء . هذه هي المعلومات التي نتلقاها في هذا العالم . فهذه المعلومات من ناحية بدئية لا يتطرق اليها الشك . ولكن ننظر الان في تلقي هذه المعلومات كيف يكون . اولاً نحن نعتبر ضمنا ان الاشياء موجودة في محيط خارج عنا ، وبأننا ان لانسان عقلا يدرك به هذه الاشياء ، وان الانسان يجب ان يحصر اهتمامه في المعلومات الثلاثة وفي التقسيم بثير مشكلات فلسفية نحن في غنى عنها اذا حولنا انتباهنا فقط الى كيفية اختبارنا للاشياء وكيفية شعورنا بها ، مع إيقاف التفكير في حقيقة وجود الاشياء او عدمها وفي قدرة العقل على تصور الحقيقة او عدمها . اي ان الانسان يجب ان يحصر اهتمامه في المعلومات المتلقاة وفي وصفها . فالفيلسوف الوصفي ، في رأي هرل ، هو الذي يترك فقط في شعوره بالاشياء وفي وصف هذا الشعور ، بدون الاهتمام بالقوانين الطبيعية ولا باعتبار اسباب والعلّة والحلول . وهذا ما يعنيه هرل حينما ينادي بالعودة الى الاشياء ويطلب بحجز معلوماتنا الفلسفية عن العالم ، فناديا للتشويش الذي يحصل نسي الدهن

طائر الموني

الى بدر شاكِر السياب في عائلته الثاني

يا طائر الموني المصوم فوقنا ، وعلى ذراتنا
من أي أرض جئت ، كم ألفنا عبرت من البحار
لتصل شوق يد النصار

يا طائر الموني ، وفي عينيك من السق البراري
كلما وشوق بلهتان وبرعشان بلا حصار
لم يبق ماء فسي جدواولنا ، وقد شربت ربنا
حتى مدامنا ، فجف الدمع ، فاشرب من دماننا
يا طائر الاحباب ، ان طيورنا هجرت قرانا ..

يا طائر الموني ، عجيب ما سمعت وما تراه
فاحمل - رسول الشوق - للموني نعاياتنا ، وبعضا من نراننا
واذا مروت على « يوب » بين اطلاق التخيّل (1)
خط من الزمل المذاب - يسيل فيه دم الاصيل
فقد عند « جيكور » ... فان لآله الانتداء فيها (2)
اجلجان « اقبال » تفرطها لزعج قلبا حيارى (3)
ان مر عكاز .. نراكس ... لم ترتجف اكسارنا
فاشرب من الطير الحزين ... وقيل لجيكور سلامنا
يا نبع « بدر » يا هواء ، وبنا « معابده القريته »

يا « منزل الانثان » ، يا مهد الطفولة ، يا صباه
يا وجه « فيلان » ، وبنا فسرنا تسارده « وفيقه » (4)
يا شمس تشرين ، تسير مع « القريب » على خطاه

... يا طائر الموني .. وحلق فوق السواد الطنج
ثم انطق .. عد دونما ذكرى ليحمل بالبحار
« ابوت » .. بالطر الربيعي اليهيج ...

فجرا يذر على العمايز والقرائن والحصول
بالتمسك ، بيهر فوسها الفزان ، في قدم التلول
وبنجة الصبح التي نمت ، فالفقت مقلتها
وعلى « شنائيل ابنة الجلي » قد القت رداها
وتعرفت سحرها عليها

يا طائر الموني ، الحوم فوقنا ، وعلى ذراتنا
عد دونما ذكرى ، ولا نعمل اسانا
للراغبين ، يسلا عيون ، يطمون بان يهودوا
يوما ... الى ارضي بلونها الحلين
... وسيصلحك القصر الحزين
للمائدين الى المرافئ ، بعد ان عبروا البحارا
وعللوا بالربيع ... وانطلقوا .. وقد سبقوا النهارا

... عد دونما ذكرى ، ودهم يطمون بان يهودوا
فشاوهم لا زال فيها ، لونه ، شوق ، وعود
يا طائر الاعماق ، ان طيورنا هجرت قرانا
فاحمل الى الاحباب ، منا ، الشوق ، اسمهم هوانا

حسين جليل

بشداد

(١) يوب : جدول في قرية الشاعر السياب . (٢)
جيكور : قرية الشاعر السياب ، وهي من قرى جنوب العراق
(٣) اقبال : زوج الشاعر السياب (٤) فيلان : ابن الشاعر
السياب ، وفيقة حبيبة السياب التي اختطفها الموت منه .

مندور بين الجمالية والايديولوجية

بقلم فرحان بلبل

لم ينتقل محمد مندور الى الرفيق الاعلى الا بعد ان أصبح اكبر ناقد في الشرق العربي وبعد ان اعطى النقد دفقة حياة تقدمت به وجعلته رائدا وموجها لادبنا العربي . ومن شجيج المطابع وزخم الحرف وصراع الادب سافر الجسد المسجى بهوده الموت وكبرياء القبر رحلته الاخيرة فحق نصحيح الالة الذي بيعت الحرف صراعا في حومة الادب ان يعيد النظر في نتائج الراقد بعد ان استقرت آراؤه فهو لن يزيد عليها شيئا ولن يغير من مستقرها . فالوقت يفسى عنها ثوبه النهائي . وسأحاول هنا ان اوضح بعضا صغيرا من نظرات الناقد الكبير .

مندور أحد الأشخاص القلائل الذين كان لهم مذهب نقدي واضح مدروس ، فقد بنى مذهبه النقدي على أساس من دقة الذوق وسلامته ومن ثقافة واسعة أدبية وفلسفية وتاريخية وعلى أصالة في التفكير مستمدة من طول التأمل وظفافة العقل ، فهو لم يدخل ميدان النقد دون مذهب واضح ، ولم يترك للمصادفات والظروف ان تبني مذهب ومنهجه ، ولكنه مذهب لم يجمد عند نقطة واحدة بالأسس عليها الجمود عمق التطور وطرافة التجديد بل تطور مذهبها تطورا كبيرا ورائعا دون أن يفقد أسسه الأولى ، فمنهجه في خواتيم حياته - رغم تطوره - ذو صلة وثيقة وكاملة بمنهجه في بواكير حياته .

ويقوم مذهب على جناحين يشكلان دفة المركب الذي ركب الناقد المرحوم عليه بحر النقد المتلاطم خلال عشرين عاما حافلة بالجهد والعرق والتعب . هذان الجناحان هما الصياغة الجمالية وعلم الجمال اللغوي والنقد الايديولوجي . وأولهما سبق للثاني وثانيهما منطور عن الأول مرتبط به . فلا بد إذن من معرفة التطور وكيفية الربط بين الطرفين المتلاحمين .

انه يبدأ من علم الجمال اللغوي وتعبير آخر يبدأ من اللغة ، من الإدارة المشكلة من الحروف والالفاظ ، وبالتالي يجب ان تبدأ مع مندور من أول الخيط ، من اللغة ، فهي مفتاح السر كله وحزمة الضوء التي تنير عمل مندور في الأعوام العشرين الحافلة بالجهد والعرق والتعب .

وببدو واضحاً رايه حول اللغة في المقدمة التي كتبها لترجمة كتاب « منهج البحث في الادب واللغة » للانسون ومايه ، فهو يقول « واللغة هي مستودع تراث الأمم لانزال نحن بعيدين عن استخراج ما في حناياها من حقائق انسانية

عامة وحقائق خاصة لشعب العربي والعقليات العربية كما رسبت بها خلال القرون المليئة بالأحداث حتى ليصح القول بأننا لا نزال نعيش على ما خلفه علماء النحو والصرف والبلاغة الأقدمون » (١)

هذا المقطع يوضح نظرة مندور للغة وبالتالي يندرج بنا في الطريق الصحيحة لمعرفة مذهبه النقدي كله .

واللغة في نظر مندور ليست تقاسيم البلاغيين وليست تناوشات علماء النحو والصرف ، لا ، انها شيء آخر انها كل حي تحوي في حناياها حقائق انسانية عامة ، والادب العربي لم يجمد ويتحجر ويذهب منه الماء والرونسق الا عندما تحول النقد الى دراسات بلاغية جافة ، عندما أصبح هم الاديب ان يتساب في السبل البلاغية الجافة التي يراها النقاد سمة البلاغة والفصاحة كما نرى ذلك عند مكي هلال العسكري في الصناعتين ، وكما نرى عند جميع علماء البلاغة المتأخرين ، والادب العربي لم يستيقظ في العصر الحاضر الا عندما أصبح للكلمة مدلول واسع انساني حي ، وعندما أصبح الاديب يرى في الكلمة ظلالا للحياة وترائسا للنفس الانسانية وروحاً تخفق في صدر الحروف .

ومندور يصر على هذا الدور للغة ، ونجد في كتابه « النقد المنهجي عند العرب » حراسة طافية في أصراره على فهم كيان اللغة الحي ، وهذا الموقف من دور اللغة هو البادرة الأولى لمذهب مندور النقدي الذي قام على الجمال اللغوي ومع ان مذهب النقدي تطور مع نواحي السنين الا ان هذا الاهتمام بعلم الجمال اللغوي بقي حتى الصفحات الاخيرة في حياة مندور واضحا جليا ، وبقي الناقد المرحوم حتى آخر عهده النقدي يطلب من الادياء بالاحاح حسا ان يجعلوا من الفاظهم كوى روحية تهدي القراء والادباء ، وبقي تعريف الادب عند الناقد منذ كتابه « الميزان الجديد » حتى مقالته الاخير « مذهبي في النقد » : « الادب هو كل ما يثير فينا بفعل خصائص صياغته التفاعلات عاطفية او احساسات جمالية » .

قلت ان هذا الموقف من اللغة هو البادرة الأولى لمذهبه في النقد . والحق ان نظرائه النقديين الأولى كانت تنصب بالدفاع جيش نحو هذا الاتجاه حتى كان يطالب بالهمس في الشعر ، وما الهمس في الشعر الا الثورة على قيود البلاغيين من نحو واعطاء الكلمات جمالا وانساقا مع قدرة الالفاظ على إعطاء النفسية الانسانية من نحو آخر ، وفي كتابه « الميزان الجديد » صورة صادقة عن نقده القاسم على علم الجمال اللغوي والهمس الشعري .

ولكن مذهب مندور النقدي استمر في التطور حتى وصل الى المذهب الايديولوجي القائم على الهدفية في الادب والذي يجعل من الادب صورة عن الواقع الانساني يهدف أولا وأخرا الى الكشف عن الخير والجمال . ويقوم مذهب الايديولوجي على النظر في مصادر الادب التي استقى منها عمله الادبي أولا وفي اسلوب العمل الادبي ثانيا

وفي أهداف الذي يقصده الأدب ثالثاً - وهذا النظر الثلاثي يجب أن يكون متكاملًا متداخلًا فتصوير الواقع الإنساني لتحقيق الخير والجمال يجب أن يبنى إنسانياً في الوسيلة والمصادر معاً - فإن « النظر في المصادر والأهداف وحده لا يكفي ، بل لا بد من النظر أيضاً في طريقه العلاج واسلوبه والروح التي يصدرها عنها الكاتب لتتبين هل هي روح سليمة أم مريضة ، وهل هي روح متفائلة أم متشائمة ، وهل هي روح حانية على البشر محبة لهم أم روح شريرة ساقطة ، وذلك لأننا قد نقع مثلنا على قصة أو مسرحية تنتهي بهزيمة الشر وانتصار الخير ، ولكننا مع ذلك نحس بسان اسلوبها قد كان اسلوباً داعماً مدمراً وقها يسرف في المبالى وبغري بها اغراء لا يمحوه ولا يشفع له أنه قد انتهى الى اذاتة هذا الابتذال وكتبته في آخر القصة أو المسرحية مما يجعل للخاتمة الخبرة تمحي أو تكاد امام سيل الدعارة الفاجرة الذي تخطل صفحات عمله الأدبي واشتد بريقه فيها » (٢) .

ولكننا نسأل : كيف وصل مندور الى مذهبه الأيديولوجي ؟ وبتعبير آخر كيف اضاف مندور الأيديولوجية الى علم الجمال اللغوي ؟ ويبدو لي ان الأيديولوجية وليد حتمسي لعلم الجمال اللغوي ، ومقدمة كتاب لانسون ومايه هي المفتاح . فالناقد يرى في اللغة مستودعاً لروح الانسانية ولعطاء البشرية بالإضافة الى كونها وسيلة لاكتساب فنه فضائل الصياغة الجمالية ، وان لغة دورا حياناً ، ولا شك ان من يرى في اللغة دوراً حياناً إنسانياً تعبر عن حياة الانسان في أفضل مظاهرها لا بد من ان يجعل الأدب هدفاً .

وعلى هذا ليس علم الجمال اللغوي هو المولد للأيديولوجية ؟ انيس الالتحام بين روحية الفقه وروحية الهدف كاملاً وتاماً ؟ ليس من يرى في اللغة تراث البشرية هو نفسه الذي يطالب من الأدباء ان يحافظ على تراث الإنسانية ؟ ولذلك فان مندور الأيديولوجي لم يتخل عن علم الجمال اللغوي ، ومندور الهدف لم ينس مستودع التراث ووعاء العقائد الإنسانية . فهو يقول « وهذا النقد الأيديولوجي لا يمكن في مذهبه ان يفتي بآية حال عن النقد اللغوي الجمالي الذي يتميز به الأدب على الكتابات » والأدب « هو تعريف آخر صياغة فنية لتجربة بشرية مما يحتم ضرورة الاهتمام بالصورة الأدبية التي يصب فيها الأدب مضمونه الإنساني ، وهذه الصورة ليست أمراً شكلياً ولا نائلاً ، بل هي الوسيلة الفعالة التي تكسب الأدب مفاءة ، وقد رنه على النفاذ الى النفوس من أسير السبل وأقواها نفاذاً وامتقياً ثالثاً - وخصائص الصياغة تلعب فيها الخصائص اللغوية وطرائق التعبير اللفظي دوراً أساسياً لان للالفاظ الواناً وارواحاً ولا يمكن ان يسمى الأدب ادباً ما لم يكن قادراً على ادراك الوان الالفاظ وارواحها » (٣) . ولا بد ان دخول مندور في مترك الحياة العامة واتصاله

بالتعب اتصلاً وثيقاً هو الذي اند عنده مدبره اسعد الأيديولوجي فان من يرى الناس وهم يتركون على صفحات الكعاج البشري ويحس بلبهم جهادهم لا يستطيع أن يتناساهم لما لا يستطيع أن يفعل واجب الادباء نحوهم . يقول « ثم حدث بعد ذلك ان تولت الحياة الأكاديمية في الجامعة لامل في الحياة حيث خالفت الناس ولتقيست دروساً مباشرة من انحية لا تغل اثر ، وبالنسبة في تكويني انشغاني عما تغلبت من دروس في الجامعات او قرأت من كتب داخل الجدران . وبنتائج هذه الدروس اجدಿದೆ اخذت آفاني النقدية تتسع وتطور شيئاً فشيئاً دون ان انتكر للمرحلة السابقة من حياتي العملية ، فقد ظلت حتى اليوم اصر على القيم الجمالية في الأدب عامسة والشعر خاصة ، ولكنني اخذت ازداد اهتماماً بالبحاثة واخذت احاسي يرداد شيئاً فشيئاً بان لا ينبغي ان يظل الأدب والفن متعلاً للخصوس ولتدور في الجمال من المتنازلات من الناس بل يجب ان يساهم الأدب والفن في خدمة الحياة وجعلها افضل واسعد وخيراً مما هي » (٤) .

ومعاً لاشك فيه ان موقف مندور من قضية اللغة وتمسكه حتى النهاية بعلم الجمال اللغوي موقف مشرف وفيصل مشرق في اتجاهات النقد الحديثة ، خاصة وان اتباع المذهب الأيديولوجي اخذوا يعملون الاصول الفنية والقيم الجمالية في سبيل الهدف الخير الذي يقصدون اليه . والمذهب الأيديولوجي اليوم في اتساع مع اتساع المعركة التي يخوضها العرب في حومة الدنيا على جبهات السياسة والفكر والاجتماع . وموقف مندور من القيم الجمالية هو من بابها المذهب الأيديولوجي - استطاع ان يحد من انزلاق اتباعه نحو اعمال الصياغة الفنية ، لان هؤلاء نسوا او تناسوا ان الأدب هو « الذي يشير فينا بفضل خصائص صياغته انفعالات عاطفية او احساسات جمالية » واطن ان فضل مندور في التأكيد على القيم الجمالية هو اهم ميزاته الأدبية وابرز عنصر في مذهبه النقدي كله ،

ولكن مذهب مندور في علم الجمال اللغوي ادى به الى تيجتين هامتين لم يلتفت اليهما الدارسون ، او ان مندور لم يولهما اهتماماً شديداً مع ان احدهما تظهر في اهم كتبه هو « النقد المهجي عند العرب » وثانيهما تظهر في مقدمة ترجمة لكتاب « لانسون ومايه » غير ان قيمة الناحية الاولى تختلف عن قيمة الثانية ، فبينما تعتبر الاولى كشفاً رائداً في توجيه النقد الأدبي نجد ثانيهما جرحاً في مذهب النقدي ولتعرض القضية : في كتاب النقد المهجي عند العرب يتحدث مندور عن الناقد العربي اللدوق « الأمدي » فسي موازته بين ابي تمام والبحتري ، والحديث في نراهة مندور - يعني ان لا يتناسى - وهو يتحسس بحرارة لاهية - للامدي اخطاه ومن ابرز هذه الاخطاء ان اللغة لا تقاس عليها .

فلامدي يعلن هذا الجداً ويزن ابا تمام على اساسه كلما

انتهى في تعابيرها الى غير ما انتهى اليه المتقدمون من الشعراء والبغاة . فهو مثلا ينكر على الشاعر ان يقول « لا انت انت والزمان زمان » ويؤري في قوله « لا انت انت » تعبيراً شعبياً وينكر عليه ان يقبسه على « ولا العقيق عقيق » ، والامدي يقول « اتبا ينبي ان ينتهي في اللغة السى حيث انتهوا ولا يمتد الى غيره فان اللغة لا يقاس عليها » (٦) ، فالامدي اذن يرفض التجديد في صيغ اللغة وتركيب الكلام وهنا يبرز مندور ذاته صاحب مذهب علم الجمال اللغوي وصاحب الرأي في ان اللغة مستودع الامة وتراث الانسانية لحياة الكائن الحي عميقة متجددة واللغة هي المعبرة عن عمق والتجديد ، ولذا يجب ان نفتح المجال امام الشاعر كي يجد نوعاً من التساوق والتوازي بين حياته الخافتة القلب وبين لغته التي يودعها نفسه وفكره ، ولذلك فمندور يرفض نظرية الامدي الضيقة ويعتبرها نوعاً من شقشقة اصحاب البدع .

والحق كل الحق الى جانب مندور ، فكون اللغة لا يقاس عليها شيء نرفضه طبيعة اللغات وفطرة الحياة ، والحق كل الحق الى جانب مندور وهو ينمي على الامدي - بالاندفاع نفسه - نظريته الضيقة ، والحق كل الحق الى جانب مندور وهو يتحدث عن هذه النقطة بالسجاسم طبع مع مذهبه النقدي .

غير ان مما يؤسف له ان الناقد المرحوم لم يول التجديد عنايته ، ولعل انصباغه على امور نقدية اخرى كان يراهها اهم واولى بالرعاية هو الذي شغل عن هذا الجانب الضخم الحي في حياتنا الادبية . ولم كنت ابنى لو ان مندور - بنظرته الناقية وذوقه المرفه وثقافته الواسعة - قد اشتغل بهذه الناحية لعله يحدد الاتجاهات الاساسية واللازمة في مشكلة التعبير وقضية التجديد اللغوي اذن لو فر على الادباء الشباب مشاكل كثيرة تعترضهم ولاسي براى جدير بالاعتبار بين آراء المعثرين في خضم الابحاث اللغوية ، ولكن ما صار صار ولعله يكفي انه بلز البذرة وان كانت صغيرة ووجه الانتباه وان كان جزئياً تناولها .

بقيت الناحية الثانية ، وتبدو فسي مقدمتها لكتاب لانسون ومايه . يقول : « لقد تقدمت الدراسات اللغوية في الغرب و زاد الاهتمام باللغات التي نسميها عامية ونظن انها لا تطرد على قاعدة ولا تستند الى نحو واخذت الابحاث تنفض على التاريخ من جهة والمقارنة من جهة اخرى اما نحن فلا نزول جامدين عند اللغة الفصحى ولا نزول ابحاثنا تقوم على المنطق المجرد او التاكيدات المسرفة ، ولا تزال مسألة الصحة والخطا محور مجالنا اللغوية » (٧) في هذا المقطع يتكشف رأي لمندور مخيف خطير ، وهذا الكلام اوله صحيح وآخره صحيح وصحيح ولكن يفسده التعميم : واوسطه خطأ وقياس فاسد .

اما ان الدراسات اللغوية في الغرب قد تقدمت وزاد

الاهتمام باللغات العامية المطردة على قواعد ثابتة تقسول صحيح واما ان ابحاثنا ما تزال تقوم على المنطق المجرد والتاكيدات المسرفة وان مسألة الصحة والخطا محصور مجالنا اللغوية نقول صحيح ايضا لو انه قلل في البداية « اكثر ابحاثنا » فان هذا التعميم الجاد مسرف في ابحاثه ونحن لا ننكر ان اكثر ابحاثنا اللغوية والنحوية لا تقوم على مبدا من كشف لغوي يرى في اللغة نموا واطرادا وتجديدا . ولكن هذا لا ينفي اننا بداننا تنحصر من هذه الريقة القاسية ، وان دراستنا بدأت تأخذ طابعاً جديداً يتجلى في ربط اللغة بمجريات اتاريخ العربي ومعطيات الوجدان الانساني . واما اننا لا تزال جامدين عند اللغة الفصحى فهذا عيب نأباه على لغتنا وترده في ابحاثنا اللغوية وقد قاس مندور هذا شيئا على شيء ، وخرج بهذا الرأي الذي قد يثلم مذهبه النقدي ثلثة عميقة .

فمندور - رحمه الله وعفا عنه - نظر الى الغرب فوجد الاهتمام باللغات المحلية العامية - بنزائده ويعطي نتائج باهرة تجعل من اللغة مستودع الامة وتراث الشعوب وتفتي على اللغة حياة جمالية وايدولوجية واسعة ، ونظر الى اللغة العربية فوجد الاصرار والتاكيد على اللغة الفصحى ووجد الى جانبها ضعفا عاما في الادب وخمودا في التعبير فقام على شيء ، وخرج بهذه النتيجة وهي الدعوى الضمنية الى اللغات العامية .

لقد طلق ان ضعف الادب وخموده نتيجة طبيعية للاصرار على اللغة الفصحى ، وما دام الغرب قد تقدم ادبه لانتشار اللغات العامية المستندة الى التاريخ والقواعد المطردة فالتقاس يفتي ان يتخلى العرب عن لغتهم الفصحى وان يميلوا نحو اللغات العامية المستندة الى التاريخ والقواعد المطردة حتى يمتلئ بروح جديدة .

ولكن مندور في سبيل هذا التقاس نسي اشياء عديدة . نسي ان اللغز في ضعف الادب يرجع الى الادب لا الى اللغة ، والا هل يرجع فشل اللوحة المرسومة الى الاوان والقماش والفرشاة ؟ ونسي ايضا ان طبيعة اللغة العربية تختلف عن طابع بقية اللغات ، فالعربية لغة كاملة قابلة للنمو والتطور بشكل الفصحى ، وقابلة لاحتلال الايدولوجية مذهباً عاماً في الادب بينما تعجز اللغات الاخرى - ومندور ادري بها - عن القيام بهذا الدور الكبير .

واظن ان اهتمام الغرب باللغات العامية يرجع الى عدم قدرته لقائه الى استيعاب تطورات الحضارة بشكلها الجامد المقرر ، ولكن هذا لا يصدق على اللغة العربية ، وبالتالي فان

(١) منهج البحث في الادب واللغة صفحة ١٢ نشر دار العلم للعلايين بيروت عام ١٩٨٦ . (٢) المجلة الثقافية عدد ١.٣ تموز ١٩٦٥ مقال (مذهب في النقد) لندور صفحة ٥٩ . (٣) المصدر السابق صفحة ٥٩ . (٤) المصدر السابق صفحة ٥٩ . (٥) (٦) (٧) النقد المنهجي عند العرب طبع مكتبة نهضة مصر صفحة ١٢٢ . (٨) منهج البحث في الادب واللغة صفحة ١٢ .

وحدى

لا تقولى أنا قد قوت الهوى
فانا كل عمري صريع الهوى
ان قلبي صد ما ارقى
عاش رهن السوى
هو قد فعل في تباه ما ارقى !

يسا نداء على شفتى لا يريم
يا حداد به العدى التجوم
استوى فوق ظهر القيوم
ونحنى الهوموم
انت لو رمت عدت نشيدا بدموم !

طالعيني ببسمة عهد ملى
لا تقولى نسا جرحه واتلقى
هو لا يشى منطسا
هو تبع الرضا
اودعني امش متعبا مفرحا !

سوف يبقى هوانا برغم السنين
يتجدى المنى يتجدى اللون
قد زرعناه فوق الظنون
منهلا للعيون
نحن حلم بمر فرد العالون !

ألي ياخي / حسن عبد الله القرشي

مدهدي .. مدهدي بوعد بيل
قبل ان يستجيب لقلبي الاقول
وعند الصالح المستحيل
هل له من قفول ؟
يا غناء سسرى من حنايا بغيل !

كنت ارنو الى الافاق ذات صباح
فاستهلت على نغماتي جراح
ودكرت ذات الوشاح
فصراني النواح
واستهدت بقلبي شللايا الرياح !

كنت وحدى هناك وكان الغروب
ونصار على الافق زاه يلوب
رغم صوت الطيور المحبب
كان قلبي غريب
لانا كنت وحدى ولا من محبب

لا تقولى تستيكت وسط الزحام
لا تقولى انتهى جيتا في الظلام
جيتا ليس منه النظام
جيتا لا نسام
جيتا فمة تنهذى الانام !

الجمال والخير اذ ذلك يصبحان ضحلين مرتين بعقود
قليلة من السنين ، فتتخلى اللغة بذلك من كونها مستودع
الامة وتراث الانسانية ويبدو ان اغسراق مندور في
ايدولوجيته هو الذي وصل به الى ما وصل اليه . ولاشك
انه لو اصر مندور على هذه الناحية لكان قد انتقل نقلة
كبيرة وخطيرة من مذهبه النقدي الرابع الى مذهب جديد
لا يبقى على شيء من مذهبه الاول .

وبعد فهذه محاولة لتوضيح بعض جوانب مذهب مندور
في النقد ، وهو مذهب جديد بالاعتبار وقعين بدفع النقد
الادبي والانتاج الفني نحو مسارب تستحق الخلود ، وهو
مذهب كامل تام ومتطور تام ، ارجو ان يزيد عليه النقاد
اللاحقون وان يتمموا الرسالة النقدية العظيمة التي اغنى
في سبيلها الناقد المرحوم حياته ، ولا يقدح في قيمة المذهب
انه انزل بعض الانزال . رحم الله مندور ، وكفى المرء نبلا
ان تعد معاييه ..

فرحان بلبل

حمى

قياس لغة على لغة مع الفوارق الكبيرة بينهما منطلق اكثر
مندور نفسه مثله في مذهب فداءة ين جعفر الاعجمي في
كتابه الرائع « النقد المنهجي عند العرب » .

هاتان النقطتان الاخيرتان - وهما الهجوم على الجمود
العمري والتمسك الى العامية - تبتقان معا من مذهب
النقد . فلكي تكون اللغة اداة طبعة في استبعاد حيازة
الامة ولتحمي الايدولوجية في الادب يجب ان تكون لغة
مفتوحة تأيى الانغلاق ، وبمعنى آخر يجب ان تسمح لنفسها
- او ان يسمح لها ابتاؤها - بالتطور والنماء . ولا يتم
التطور والنماء الا بالقياس على الاشياء والنظائر وبالحاج
للادباء ان ياتوا من التعابير ما شافوا بشرط ان ينسجم
الابداع مع طبيعة اللغة . وهذا لعمري اروع تطبيق لملم
الحمال اللغوي وللمذهب الايدولوجي فالجمال والخير
صنوان للتطور والانفتاح مع التقيد بطبيعة اللغة وقواعدها
الكبرى ..

ولكن التطور والنماء يجب ان يصل الى حد الاتيان بلغة
جديدة تخفي تحت اسم اللهجة العامية لغة الفصيحة ، لان

لم اعد من الحرب الا في ربيع عام ١٩٥٠ ، وقد وجدت انهم يبق في المدينة احد ممن كنت اعرفهم . ولحسن الحظ كان ابواي قد خلفا لي بعض المال ، فاكترت غرفة في 'المدينة' ، واضطجعت على السرير ، ورحبنا دخن وانتظر دون ان اعرف ما الذي انتظره . ولم يكن في نيّتي ان اشغل . وكنت اعطي صاحبة المنزل نقودا فتشترى لي كل شيء ، وتطهو طعامي . وكانت كلما حصلت القهوة او الطعام الى غرفتي تمكث فيها وقتا اطول مما كنت اريد . لقد قتل ابنها في مكان يدعى كاليونكا ، وكلما دخلت غرفتي كانت تضع الصينية من يدنها ، وتجسدي الى الزاوية القليلة النور التي فيها سريري . هناك كنت اغفو خاسلا ، وأغفد بلعقاب السجائر على الجدران ، حتى اصبح الجدار القريب من سريري مليئا كله بالبقع السوداء .

كانت صاحبة الدار شاحبة الوجه نحيفة ، وحين كان وجهها يقترب من فراشي في النور الخافت ، كنت اشعر بالخوف . لقد حسبته في يادي الامر معتوه ، لان عينيها الواسعتين كانتا ترسلان بريقا شديدا . وكانت تسألني وتكرر السؤال عن ابنها مرارا متتفدة : « آنت واثق من انك لا تعرفه ؟ ان المكان يدعى كاليونكا - الم تذهب الى هناك قط ؟ » .

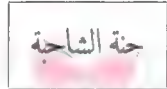
فبر انني لم اكن قد سمعت قط بمكان يدعى كاليونكا . وفي كل مرة كنت استدير نحو الحائط واقول : « كلا ، لم اذهب الى هناك فعلا . ليس في وسعي ان اتذكره » ولم تكن صاحبة المنزل معتوه ، بل كانت امرأة دمثة جدا ، وكان يؤلمني ان تلقي علي تلك الاسئلة . لقد كانت تسألني كثيرا ، مرارا متعددة في اليوم الواحد ، فلماذا ما ذهبت اليها في المطبخ كان علي ان انظر الى صورة ابنها ، وهي صورة

موتوغرافية ملونة معلقة على الحائط فوق الكنية . كان ولدا ضاحكا جميل الشعر ، وهو في الصورة يرتدي بزة الخروج الجود المشاه .

وتقول السيدة : « لقد اخذت ل هذه الصورة في ائكتة بلان يدهوا الى الجبهة » .

كانت صورته صعبة : انه يرتدي خوذة فولاذية ، ومن خلفه يمكنك ان تميز بوضوح شديد صورة قصر خرب ، تسلق عليه كله حشائش اصطناعية .

وتضيف السيدة : « لقد كان سائق ترام . كان يحب العمل كثيرا » . وفي كل مرة تأخذ علبة الصور الموضوعة على طاولة الخيالة



للكاتب الثلاثي هنريخ بول

مهداة الى الصديقة الالمانية كريستا بينتن

ترجمة عيسى الناعوري

بين امرقع وكباكيب الخيطان ، وتضع في يدي عددا من صور ابنها : افواج مدرسية يجلس في وسط الصف الامامي من كل فوج ولد يضع بين ركبتيه لوحا للكتابة ، وعلى اللوح ارقام ٦ ، ٧ ، او خيرا ٨ . وفي ربطة منفردة مشفوعة بشرط مطاط احمر كانت صورة التناول الاول : طفل يتشم ، في بلة سوداء ويحمل في يده شمعة ضخمة . بهذه الطريقة كان قد وقف امام لوحة شغافة مرسوم عليها كاس ذهبية .



لم تجيء صور يبدو فيها تلميذا امام مخرطة ، يتعلم صناعة الاقفال ، وعلى وجهه بغض البقع ، ويده تمسك بعمرد .

وتقول السيدة : « لم يكن هذا عملا لاثابه . لقد كان عملا مرهقا » .

ثم تريني اخر صورة له قبل ان يصبح جنديا : كان فيها يقف غسي نياب سائق ترام الى جاذ بيترام يحمل الرقم ٩ في الحطة العمومية ، حيث يصطب العربات في حلقة دائرية .

وقد عرفت فيها موقف المرطبات الذي كثيرا ما كنت ابتاع منه السجائر . لقد عرفت شجرات الحور التي ما تزال قائمة الى الان هناك ، ورايت البيت الذي كان يقوم على بابه امدان ذهيبان ولكن الاسدين لم يعد لهما من الي هناك . وتذكرت الفتاة التي طالما فكرت فيها ايام الحرب : لقد كانت جميلة ، شاحبة الوجه ، مستطيلة العينين ، وكانت دائما تركب الترام رقم ٩ من الحطة العمومية .

كنت في كل مرة احب ان اطيّل النظر الى الصورة التي يظهر فيها ابن السيدة عند الترام رقم ٩ ، في الحطة ، وتخطر في بالي اشياء كثيرة : الفتاة ، ومعمل الصابون الذي كنت اعمل فيه حينذاك ، واسمع قرعة الترام على الحديد واري الليمونادة الحمراء التي كنت اشربها في موقف المرطبات في الصيف ، واعلان السجائني الاخضر ، ثم اعود الى التفكير في الفتاة .

وتقول السيدة : « لعلك عرفت بعد كل هذا ! »

فاهز راسي واميد الصورة الى العلبة : لقد كانت صورة صقيلة ملباء ، وما تزال تبدو جديدة على الرغم من ان عمرها ثمان سنوات . واقول : « كلا ، كلا . ولا كاليونكا ايضا . لم اعرفه فعلا » .

لقد كنت مضطرا الى الدهاب اليها في المطبخ كثيرا ، وكثيرا ما كانت هي تجيء الى غرفتي . وكنت كل يوم افكر في ما اود ان انساه : -

الحرب - فانقض رماد سيجارتي
خلف السرير ، واقدت بقاياها الى
الجدار .

وفي بعض الاحيان ، حين اكون
مستلقيا على فراشي في الماء ، كنت
اسمع خطى فتاة في الغرفة المجاورة ،
او اسمع الرجل اليوغوسلافي الذي
يقيم في الغرفة القريبة من المطبخ
يلعن ويشتب وهو يبحث عن زر النور
قبل دخوله الى غرفته .

ولم استطيع ان الاحظ - الا بعد
ثلاثة اسابيع من اقامتي هناك ، وبعد
ان امسكت بيدي للمرأة الخمسين
صورة كارل - ان عربة الترام التي
يقف امامها باسما ويده محفظة
النقد لم تكن فارغة . للمرة الاولى
نظرت باهتمام الى الصورة فرايت في
داخل العربة فتاة ترتسم ، وقد
ظفرت في الصورة بوضوح ، انها
الفتاة الجميلة عينها التي طالما فكرت
فيها في أثناء الحرب .

وجاءت ربة المنزل ، وراحت
تفرض باهتمام شديد في وجهي ،
ثم قالت : « هل مرقته الان ؟ » ثم
دارت من خلفي ، ومن مؤثرها المشهور
ارتفعت خلفي رائحة البيزولا الخضراء
فقلت : « كلا . ولكنني اصبرف
العناء » .

وقالت : « الفتاة » ؟ لقد كانت
خطيبته . ولكن لعله كان خيرا له
انه لم يعد يراها ابدا .
فالتفتا : « لماذا ؟ »

فلم تجب ، بل ابتعدت عني وجلبت
على كرسي بجانب النافذة ، وبضت
تفكر البيزولا . ومن دون ان تنظر
الي قالت : « ه لمرقت الفتاة ؟ »
فاستكت بالصورة في يدي بشدة
ونظرت الى ربة المنزل واخبرتها
عن معمل الصابون ، ومن موقف
الترام رقم ٩ ، والفتاة الجميلة التي
كانت دائما تتركب الترام من هناك .
- لا شيء سوى هذا ؟
فقلت : « كلا »

فتركت السيدة البيزولا تتدحرج
الى داخل مصفاة ، وفتحت صنبور

الماء فومها . ولم أر غير ظهورها
الضيق .

« حينما تراها مرة اخرى ستعرف
لمادا كان من الخير انه لم يعد يراها
ابدا » .

فقلت : « لم يعد يراها ؟ »
فنشفت يديها بمنزرها واقتريت
مني ، وتناولت الصورة من يسدي
بمناية شديدة . وبدأ لي وجهها اشد
نحافة . ونظرت عينها الي ابعد
مني ، ولكنها وضعت يدها على
ذراعي اليسرى وقالت : « انها
تعيش في الغرفة المجاورة لغرفتك .
هناك تقيم حنة . اننا ندعوها دائما
« حنة الشاحبة » لان لها وجها شديد
البياض . احقا انك لم ترها بعد ؟ »
فقلت : « كلا ، لم اراها بعد ، ولكنني
سمعتها مرات قليلة . . ماذا بها ؟ »
- « لست احب ان اتحدث عن
امرها ، ولكن الافضل ان تصرف
انت الحقيقة » لقد تسوء وجهها
شوها كاملا ، واثار الجراح تنتشر
عليه باحمرار . لقد خلف بها الانفجار
الى داخل الجرح بعد الذكالكين .
انك لن تتكلم من معرفتها .

في ذلك المساء انتظرت طويلا
حتى سمعت وقع خطى على قرص
الدرج . ولكنني اخطأت الحس في
المرّة الاولى : لقد كان اليوغوسلافي
الضخم الجثة ، وقد نظر الي دهشا
حين رأيته اخرج فجأة من غرفتي
الى قرص الدرج . فقلت مضطربا :
« مساء الخير » ، وعدت السى
غرفتي .

وحاولت ان اتخيل وجهها بتدويعه
الكثير ، ولكنني لم استطع ذلك ، وما
رايته مرة الا كان جميلا حتى مسخ
الندوب . وتذكرت معمل الصابون ،
كما تذكرت والدي ، وفتاة اخرى
كثيرا ما كنت اخرج معها في تلك
الايام . كان اسمها اليزابيت ، ولكنها
كانت تأخذ لي بان ادعها « موز » ،
وحين كنت اقبلها كانت تضحك ،
فاشهر بفيائي . لقد ارسلت اليها
بعض البطاقات من الجبهة ، وارسلت

هي الي بعض الطرود التي تحتوي
على يسكوت من صنع المنزل ، كان
يصل دائما محطها ، وارسلت الي
كذلك سجاتي وجراند . وفي احدى
رسائلها كتبت تقول : « انتم ايها
العتيان ستنتصرون ، وانا فخورة
بانك هناك » .

ولكنني لم اكن قط فخورا بانني
كنت هناك . وحينما كنت احصل
على اجازة لم اعد اكتب اليها ، بل
صرت اخرج مع ابنة يالغ سجاتر
كان يقيم في بيتنا . كنت اعطي ابنة
يالغ سجاتر صابونا مما كنت
احضره معي من المعمل ، فتعطيني هي
سجاتر . وكنا نذهب الى السينما ،
او الى الرقص . ومرة كان ابوها
غائبين ، فاخذتني الى غرفتهما .
ودفعتني في الظلام على ديوان عريض ،
وما كنت اتحني فوقها حتى اضاءت
النور ، وضحت في وجهي ضحكة
ماكرة . ورايت في الضوء صورة
هتلر معلقة على الحائط : صورة
لنوتروفاغية ملونة ، ومن حول هتلر
على الورق الملون بلون السورد صور
رجال ذوي وجوه صلبة ، معلقة في
شكل قلب ، كما رأيت بطاقات ملصقة
بببائيس . رجال بلبسون خوذات
فولاذية ، وكل صورهم مقصوصة من
الصحف . فتركت الفتاة مستلقية
على الديوان واشعلت سيجارة ،
وغادرت الغرفة .

وفيما بعد كانت كلتا الفتياتين
ترسلان الي بطاقات الى الجبهة
تقولان فيها ان تصرفاتي مهمما
كانت سيئة . غير انني لم اجب
ايامتهما .

لقد بقيت انتظر حنة فترة طويلة ،
دخنت خلالها عد سجائري في قلب
الظلام ، وعادت الي ذهني فيها
اشياء كثيرة . وحين وضع المفتاح
في القفل خشيت كل الخشية ان
اقف وانظر الي وجهها . وسمعتها
تفتح باب غرفتها ، وتدندن وهي
تسير في الغرفة جبهة وذهابا ، وبعد
ذلك نهضت ورحلت انتظر على قرص

ولادة حب

مع العظم والامل المورق
بين البنفسج والزنبق
وانت مدى غدي المطلق
بجفنيك في موطني الازرق
سوى اللحظ سهما فيها ارشقي
فجودي عليه ولا تشفقني
الا على آه مفروقي

ويا صحوة الطيب في المشرق
وشوق الشواطئ للزورق
من العليف يلهو بهذب نقي
جحيما من الشبقي الحرق

وطوقك روحك بالزنبق
الليالي مدى جفنيك الربيع
ومن يقتضم مقلعة يفرق
طيوبا سينشر مهما بقى
مع الليل ، مع صبحه المونق
للولاك قبلي قسم يظنق

موسى الطوف

لك الحب قولي متى تلقي
اوان الربيع انفلات لضحك
عشقت غدي في مدى الامنيات
احبك اما حصدت النجوم
انا من نجومك لا اشتهي
لك القلب في الصدر طير شقي
اما اقسم القلب ان لا يفنيك

احبك يا عودة لريمي
احس بعينيك زهو الفوح
فانك اتقي من النار ، اتقي
اجلك في الحب ان تصبحي

فرشت لك العمر بالياسمين
وعتقت لى سكرة امرعتها
فغفت المصير اذا ما رشفت
فان جنون الزنايق عرس
وان غرامى الجديد سيبقى
لانت انشاق الضمير بقلبي

ارى نصف ندى الحورية الايمن ،
وكان عتقا شديدا البياض .

لست ادري بالضبط متى تسم
ذلك ، ولكني بعدئذ وضعت يدي
على مقبض الباب . وحتى قبل ان
اضغط عليه وادفع الباب ببطء
فافتحه ، عرفت ان حنة كانت هي
فثاني : كان وجهها مغطى بالكامل
ببقع صغيرة ضاربة الى الزرق .

وتصاملت من غرفتها رائحة طير
مطهر في منجرة .

وفتح الباب على مصراعيه ،
ووضعت يدي على كتف حنة ،
وحاولت ان اتنسم .

عيسى الناعوري

عمان

فقط . ولم يعد الا يريق يغلي فني
مطبخ صاحبة المنزل ، بل سمعت
المطبخ المعدني حين وضعته السيدة
على ابريق القهوة . وفي غرفة حنة
كان كل شيء ما يزال ساكنا . وقد
خطر لي انها قد تخبرني فيما بعد
بكل ما يدور في ظلها وانا واقف
خلف باب غرفتها . وقد حدثتني
فعلا بكل شيء فيما بعد .
ونظرت الى الصورة المعلقة الى
جانب الباب :

بحيرة فضية تترقق صفحتها ،
وقد خرجت من قلبها حورية ، شعرها
مبلول اشقر ، وهي تبتسم لغنى قروى
كان يقف مختبئا في وسط غابات
شديدة الخضرة . واستطعت ان

الدرج . وفجأة ساد الصمت فني
عمرتها : لم تعد تسير جبهة وذهايا ،
ولا عادت تعني . وخشيت ان ادق
على الباب .

لقد سمعت اليوغوسلافي الصبح
الجثة يدمدم همسا ، ويسير ذهابا
وايابا في غرفته ، كما سمعت الماء
يغلي في مطبخ صاحبة المنزل ، اما
في غرفة حنة فقد كان كل شيء
ساكنا ، ومن خلال باب غرفتي المفتوح
رايت على ورق الحائط البقع الوداء
العديدة التي تركتها اعقاب السجائر
التي كنت اقلد بها على الحائط .

واضطجع اليوغوسلافي الضخم
على سريره ، فلم اعد اسمع وقسع
اقدامه ، ولكنني كنت اسمعه يدمدم

التعبير الشعري عند زهير

بقلم عيسى ميخائيل سببا

الشعر لحن وصورة وتعبير ، فان خلا من المثلث هذا كان كلاما موزونا ، لا معنى له ، والشعر مأخوذ من الشعور ، يحس الشاعر بما حوله فيتأثر فيجري الكلام على أسللت لسانه لحننا مفرحا يأخذ بمجامع القلب ، او لحننا محزنا ، فيعصر الفؤاد ويدمع العينين . وكمن بيت شعر استفق السامع وبعث فيه حماسة ، وبئت جملة يتأمل ويأخذ بمعناها ويعمل بحكمته .

فنمن شعراء الجاهلية نرى عندهم هذا كله او اقله ، اما شعراء الحكماء فمعروف وهو صاحب من ومن ومن ، زهير بن ابي سلمى ثالث محول الطبعة الاولى من الشعراء الجاهليين وعليه نقد الحديث ، يتميز شعره ليس بالحكمة حسب بل بعمق القول وإيجاز اللفظ ، ووصف الواقع ، وهو ان قصر في الخيال ، فلا يقصر بتأدية المعنى التكميل بكلام وجيز . والحكم عنده مستمدة من واقع الحال ، من يشته ، مما كان يجري على السنة للحاس ، ان هناك حكما مصدرهما التجارب والإختبار لا التامل بالطبيعة والافلاك ، وطبيعة الصحراء لا تبعث على التامل لعدم تعدد مناظرها ، وهي رتيبة على منوال واحد غير متغير .

شعر زهير صورة لما كان يجول في خاطره ، من حب السلام وحجب للدماء ، وكراهية الحرب على حد قوله :

وما الحرب الا ما علمتم وذا قسم وما هو عنها بالهديت الجسم
من يمشوها ، تمشوها لعميمة ونصر اذا فرتموها فنصرم
فصركم موك الرعي يتفاهيها وتلفح تشلتا ثم نتج فتنتم
وان نحن نظنرا في ديوانه وجدناه يشيد بمدح وجيه
هرم بن سنان والحاتر بن عرف لسميها الموفق بالصلح
بين عيسى وذبيان ، في ايام داحس والفريراء ، وقد تحملا
ديسات القتلى وقيل انها بلغت ثلاثة آلاف بعر :

يعينا نعم السيفان وجدلنا على كل حال من سحل وميرم
تدارتنا عيسا وذبيان بعمدا نلقوا ودقوا بينهم طفر منتم
واتعبير في شعره وأوضح بين يجريه على أسللت لسانه
هنا ، لينا ، مبيها مذ يجول في خاطره ، ومن فضلة القلب
يتكلم اللسان :

نزد الى يوم المسات فالله وان كرهته النفس آخر موعيد
ويفضل لنا الحق في ثلاثة مقاطع :

وان الحق متفعله لسللت يعين او نفاير او جلال

ومن اجل هذا البيت دعى بقاضي ابحاهلية . وقد اراد بالمقاطع اليمين او المتأخرة الى حاكم يقطع باليبنات او الجلاء وهو بيان وبرهان بجوابه الحق وتوضح الدعوى ، والى جانب هذا تتبين في شعره الورع والتدين وإيمانه بالبعث والحساب واليوم الآخر :

خلا تلمن الله ما في نفوسكم تغفل وبها يكم الله عليم
يؤخر فيوضع في حساب فيدخر ليوم الحساب او يجبل ليمتم
وان نحن نظنرا في ما ذكرت المجاميع الادبية عنه
كالاغاني والشعر الشعراء وطبقات الشعراء وغيرها ، نراهم
يجمعون على ان زهير ا أحد الثلاثة الشعراء المتقدمين على
سواهم . ويفضله غير واحد على صاحبيه امرىء القيس
والنابغة الذبياني ، لتعبيره الشعري السهل ولايجاز وحذف
الفضول وحشو الكلام ، فيودع اللفظ اليسير في المعنى
الكثير :

لما بك من خير السوء قلنا نواركه آباء اسالهم قبل
ولمحه الجيد وتجنبه الكلب ، فما كان يمدح احدا الا
بما فيه من خلق رضي وبسطة كف وغيره :

على مكثهم ردى من يتربس وعند القليل الساحة والبذل
ولايجاده عن التعميد اللفظي والمعنوي وحوشي انكلام
فما كان باطل فيه اي لا يداخل الكلام ويعقده واليبك
قوله :

ولو ان حسدا يخذل الناس اخذوا ولكن حسد الناس بخلد
تفطنوا على الجملة بقل فيه الهجاء والهدر ، فهو لا
يتناول به الا الصراحة والصدق ، فيضرب الامثال ، وباني
بالحكم لتقريبها في الذهن فتمتد المعنى الكثير كما قلنا
باللفظ اليسير مثاله :

صد جعل الجثون الخير في هر . والسائلون الى عيوسه عرفا
من يلق يوسا على ملاته هرما باق الساحة منه والتندى خلقا
لو نال هر من الدنيا بكرمة ابق السماء لثالث كلبه الافلا
فالصور عنده واضحة والتعبير جلي وان قصر في
الخيال فلم يقصر بالتعبير . وقد انتزع من الحياة الجاهلية
والبيئة البدوية الفاخرة شراب الخمر وقد را مدحورح
منها نوعا فقال :

وابيض ليالي يدها فمامسة على معفيله ما نلب فوافله
اخى نقة لا تهلك العسر ما له ولكنه قد يبك المال تلتكسه
واليك بيتا اتفق العلماء قديما على انه امدح بيت :

نوره اذا ما جتته تهتسلا كذلك تطيه الذي البت سائله
ومما يتمثل به من اقواله :

وهل بيت الطي الا وشيجه وتفسر الا في مفارها النخل
ونحن نرى التعبير الشعري عنده يمتدنى وروحه
المطمنة بدون عمل وكذ قرينة ، فلغتته متينة وتركيبه
أخذ بعضه برقاب بعض ، وهو وان اكثر القريب في شعره

هباء

اي طعم نشرته العفشاء ؟
لوههم من عطور الوفاء ؟
آه يا تلج .. بعض هذا الشتاء !
كنت عريته من الاسماء
البح فصارت سفينة خضراء ؟
انقسته حديدة زرقاء !
انسي اري العمر كله للهباء

بحنين اللالون كان اللقاء ؟
كان احلى ، لو لم ازره ، فما ابقيت
لفتة اخست ازره شمساء
في عروقي احس شيئا جديدا
اين ارضي ؟ زرعت ارضي في
لهف نفسي . التسر نفسي ، ولكن
لا تعجل يا صحو ! دعني اري ..

كائن الابداء

من النهر عائدات الي
اعيني ، اضلعي ، الزمان الذي
كان يصري للناس خيرا غنيا
سومي من الرماد المذوي
تذكرته الملقى النسي
عبادت الي تحنوا على
وقالت : « انظر الي عيني
قبليها » والمذوي في مقبلي
ساحرة . لا تقل لكي انا احيا »
غدا يصرفونك المبقرى «
طريقا في داخلي سريا ..

وحملت النهار . كانت فرائشات
تحت انقاضه رايت كثيرا :
قلت : شعري اري ؟ ايعرق شعري ؟
ولمست الرماد . لما يزل يشرب
برعمت الف فكرة . نبع الدرب .
والتلوين من طفولي البيضاء
بابتسام ذنت . واطاف الفوه
انسي ... « والفترت لا قبلتها »
قالت : « الان . لا تقل انسي
وتواتر تقول : « اكتب ، ولا تحرق
وانا اسبل الجفون تلمست

علي التزيق

حلب

الحلال .

ومما يروى عن عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي
العاقل ، قال لبعض ولد هرم « انشدني بعض مدح زهير
اباك » فاشده « قال « ان كان ليحسن فيكم القول » فاجابه
« ونحن ان كنا لنحسن له المقاد » : « قد ذهب مما
اعطيتوه وبقي ما اعطاكم » . ومن هنا نعلم ان الخلود
لا يكون بالمال وهو فان وانما الخلود بما يتركه المرء من
اثر فكري وقول حكيم ، ومبرة تنطق بالعمل الصالح وحب
الخير الشامل .

عيسى ميخائيل سبأ

فهو بالنسبة الى جيله ومصره غير غريب ولكنه غريب على
ابناء جيلنا . فغريبه كان بينا ظاهرا عند ابناء عصره .

وقل ان تقع على قصيدة له بدون ان يبادرك بحكمة
او بمثل ، وان خلت من جمال العبارة فلا تظن من حسن
التركيب والصورة :

وتي نسب ناه بعيد وصلته بصال وما يدري باليك واصله
ولذي نعمة نعمتها وشكرها وخشم يكاد يغلب الحق باله
فهو في حكمه وامثاله شاعر حكيم وخطيب مصقع يدعو
الى العمل الصالح ، وقاض منصف ، لا يرغب لقومه الا
تألف القلوب والعيش الرفيد ، وصفاء النية والكسب



عبد العزيز جادو

الرقابة والرقب

بقلم عبد العزيز جادو

الرقابة في الواقع بدأت اول ما بدأت **اقبل جيلين** حين كانت مفروضة يومئذ على التفاحة . وما كانت حواء تميل الى التفاح على وجه الخصوص ، وما كان التفاح يجتذبها شكله ولا طعمه ، فكم كان لديها من اشياء الله وامتع . وكم كان لديها من صنوف مما لم تره عين ولم تسمع به اذن . وكان كل هذا كفيلا بابعادها من مجرد التفكير في التحقق او التأكد من طعم التفاحة ماذا سيكون . وربما لم يخطر لها هذا التفكير على بال الا حينما قيل لها ان التفاحة انما هي فاكهة محرمة . اذن ، فلن يقر قرارها ولن يهدأ بالها حتى تقضمها لتذوقها ، وليكن ما يكون ..

والعالم اليوم اشبه شيء بذلك . ونحن اذا ما اعطينا كل التفاح الذي نريده ونشتهي فستعافه نفوسنا ولن نلتفت اليه ولن نهتم به . اما اذا امرنا بالابتعاد عنه وعدم لمس ، فهذا شيء لا يطلق ولا يمكن مقاومته بآية حال ، ولا بد اذن من تخطي الضغبات ، وقيل بعد ذلك على التفاح العفاه .

هل يمكنك ان تسميع الى ذا تترك كيف كان ضرور وانت طفل ، عندما كنت تؤمن بعدم الاقتراب من الحلوى التي في دولاب الكرار ؟ هل تذكر ذلك الدولاب الذي كان يحكم غلقه بالضبة والمفتاح ؟ وكيف كنت ترتقب القرص لكي تختلس نظرة تستشف بها ما بداخله ؟ ثم رف الكتب !

اتذكر عندما قال لك ابوك : « ان هذه الكتب يا بني للكبار فقط وليست للصغار الذين في سنك فلا تقرها ولا تشغل بها مخك حتى تكبر .. » وحينئذ يمكنك ان تستمع بقرائها؟ انا شخصيا قد اجتزت هذه الاشياء ، واعتقد انك ايضا قد اجتزتها ، بل لقد اجتازها الجميع بلا استثناء . واني اعرف صديقا اعتاد ان يستعير الكتب من المكتبات العامة ليقتصد ثمن شرائها ، ولكنه مع ذلك ، كلما سمع ان هناك كتابا صوذر او ان المسؤولين اوقفوا توزيعه ، لا يني من السعي في الحصول على نسخة منه حتى ولو كلفته اضعاف ثمنها . « وكل متنوع مرغوب » .

هذا هو عمل الرقابة ، وهذا هو اثرها وتأثيرها . . . فهي تحدد للشخص ما يجب وما لا يجب . وتفرض عليه ما ينبغي وما لا ينبغي . والانسان بطبيعته يريد ان ياخذ اكثر من حقه ، انه لا يريد ان يحصل على اكثر مما هو موجود في الدنيا فحسب ، ولكنه يريد ان يحصل على ما ليس له وجود في الدنيا . . .

ثم ان هناك مقاييس ادبية وخلقية ضرورية ولا شك ، فلا يمكن لأي جمعية او جماعة ان تعيش وان تستمر في تادية رسالتها بدون هذه المقاييس . هذه المقاييس هي التي تجعلنا نقف سدا منيعا ضد كل ما يخالف المصروف وكل ما هو خارج عن المألوف . فالتك بكل بساطة لا يمكن ان تسمح بأي حال لمنتجي الافلام ان يعملوا ما يحلو لهم والا فستري عجايب عجب . ولا يمكن ان تترك لنا شري الكتب ولا لعروضي (للوحات الزينية ولا للخرجي المسرحيات مطلق الحرية لعل ما يحلو لهم . ولئن فعلت فستعادي بعضهم بكل تأكيد في استغلال هذه الحرية فيما يشين بتخطي السدود ، والذهاب الى ابعد الحدود ، مما تحمر له الوجوه .

ولا يزال هناك - للاسف الشديد - بعض اناس لا يتأخرون عن تقديم او نشر اشياء يحوطها القموص وتثير الشكوك . ولا يتورعون عن ابداء امور ليس من الذوق ابدائها . ولا يستحون من التماذي في وصف المبالل على طريقة الادب المكشوف . ويستبيحون لانفسهم الخوض في مسائل لا يستحب الخوض فيها ، ولا سيما اذا كانت بالطريقة الزرية التي يسلكونها .

والرقابة انما تهتم على وجه الخصوص باخلاصنا الشخصية ، وادابنا ، ولا سيما في المسائل التي لها صلة بالجنس . فاذا لم تراع الذوق والاحتشام فيما تكتب ولو كان من طريق المجاز والاستعارة ، فالرقابة هنا لا بد ان تصعدا ولها الحق في ان تصفنا على وجوهنا مراعية في ذلك العدل والانصاف .

والناس جميعا ، سواء اكانوا ذكورا ام اناثا ، عندهم الفرائض المهيبة غير المستانسة . وانهم ليعتمدون على تلك الجول الموروثة التي انتقلت من السلف الى الخلف منذ العصور البدائية . ولا كانت تلك الجول مخالفة

والجهل بالحقائق لم يكن أبداً في أي وقت من الأوقات وأقياً أكيداً للأخلاق أو دافعا للأذى . ولكن المعرفة ، هي الواقية والمثاقفة للشر ، بشرط أن تبين بوضوح أن العظم واستمساخ والصنع كلها تؤدي إلى نتائج ناعمة غير مخزية ولا جالبة للزنايب ! ..

وتركيبتنا الخلقي بعضه يرجع إلى الوراثة ، وبعضه الآخر إلى التحريز المبكر . وهذا التحريز بدون شك له أهميته التي يعتد بها . وعلى هذا فالعادات الحسنة شأنها كشأن العادات السيئة كلهاها تكونها الأخلاق . ولكن إذا لم تكن العادات الحسنة مؤسسة ومبنية على ملاحظة الحياة صادقة وثابتة فهي لا تترسي إلا أساساً مزعزعا فربما للسلوك الأخلاقي .

والروايات التمثيلية والسينمائية والكتب ، لها بطبيعة الحال ، قيمتها التثقيفية . فهي تحلل الحياة ، وهي تشرحها ، وهي تخلق أو تستجوب أو تفسف أساليب التفكير ومنافع العمل التي استست منذ قديم ، وهي غالبا ما تكون بوابة للمستقبل ، وهي كثيرا ما تبيء عمسا هو آت ، وهي لا بد أيضا أن تعالج بشجاعة وبجرأة وبلا خوف أو وجل مسائل الجنس باتوالمها المتعددة .

وهي بالضرورة تتحدى وتناقض وتدعو إلى النزال والجدال والنقاش فيما يمكن أن تنبش عنه وتستخرجه وتعلمته . وقد لا يخلو هذا ، في بعض الأحيان ، من ضرر لو انني بولكنها أولا وأخيرا ودائما ، الحقيقة التي يجب أن تعترف بها ، وهي تصور وترى ، فهي عظم الحياة ونفائتها وهي فحمتها وسداها .

والرغز أو الانزعاف من طريق الفن القويم المستقيم ، ليس من المحتم أن يجعل هذا الإنتاج فاسدا أو غشا أو غير أدبي . فقد يكون من أوضع وأخلص وأرق أنسواع التسلية وأكثرها صراحة ، وقد يكون في هذا الإنتاج شيء من النفع والفائدة . حتى أن المسائل الجنسية الإبداعية إذا تمت بعقل واعتدال وانصاف فلي يأت منها أي ضرر يعول عليه ولئن يحدث منها أي أذى .

ولكن من المؤكد أنه سيكون هناك استثمار ومواظبة على خلق تمثيلات تمس اللوق والشعور . كما سيكون هناك أيضا بعض الألام وبعض الكتب التي تقسم بمسده المحاولة . أما أولئك الذين يلهون في أبعد الحدود فيما يتكبرون أو فيما يعرضون فيستثمرون في المسير قسي طريقهم إلى محاولة انتهاز فرصة حينئذ المكوث وتشوقنا المكثوم ، وانحرافنا الرائد . أو بمعنى آخر أنهم يستفيدون من ضعفنا . وكلما كانت متدهم القدرة على تلوين هذا الضعف من إثارة المواطن ، وتحريك الإحساس ، كلما كانت الفائدة أكثر لآء جيوبهم وزيادة وصيدهم .

ومن الطريف ، أن أحد الدوافع القوية التي نمتلكها ، لطمنا بل وتستثيرنا للكشف عن كل ما يمكننا الكشف عنه ، فالجهول يرومها ويهز مشارفنا . والإمكانات توكسد

للقوانين ، ومنعوه منعاً باتاً فقد أحكم ضبطها وصار من السهل التحكم في امرها حتى أصبحت مشترته بسين انجاعة ، مشاعه بين الناس . ويمرور الزمن وتعاب الأجيال ، ومع التمرين الذي تمرسنا به منذ الطولية ، تعلمت الأغلبية إخضاع غرائزها الضارية وكبح جماحها . فأت اليوم إذا أردت شيئاً في حوزة صديق لك فلسن بصطرك الأمر إلى أن تقتل صديقك لكي تنهب أو تسلب منه هذا الشيء . فهناك سجون وقضبان حديدية لمثل هذا التصرف . ولقد سنت الهيئات الاجتماعية القوانين والتشريعات وفرضت عقاباً لأولئك الذين لم يتعلموا كيف يحكمون انفسهم ويتحكمون في تصرفاتهم .

وتنظيم الجنس أو تقويمه إنما هو من أصعب الأمور التي تعالجها الهيئة الاجتماعية والفرد على السواء . والأمور التي تتعلق بالجنس تثير الفضول وحس الاستطلاع أكثر من أي عامل آخر . ولكننا مع ذلك نتمسك في أي فرد أو أي مجموعة من الأفراد إذا لم يراعوا في محادثاتهم عدم المساس بما يخل بالشرف أو إذا أتجهوا في أحاديثهم إلى ما يشين أو ما يخدش الشعور أو ما لا يصح أن يقال . ولكن يثير في نفوسنا من السخط والاشياء ما تقرأه أحيانا بعض الكتاب من المبالل والمجون ما يندى له الجبين . وهنا يبرز أماننا سؤال عما إذا كان اللوق الاجتماعي يتطلب منا درجات من الكبت الجنسي حتى في الصفات الأدبية والتمثيليةات الثيرة والأفلام السينمائية التي لا تكون صمامات أمن جيدة . والطب ، على أية حال ، لا يدرك تماماً أن الفرد يمكن أن يعاني أرقاً قلقاً أو خوفاً أو جملة من الأعراض المصبية الأخرى بسبب التعبير عن الجنس بطريقة خاطئة ، أو بوسيلة سيئة غير منظمة وغير مجدية . فهل من الخير أن ينطلق هذا البخار الزائر عن طريق مسرحية أو كتاب أو فيلم ؟

نستطيع أن نقول « نعم » كما نستطيع أيضا أن نقول « لا » . . . نقول « نعم » على شريطة أن يكون الإنتاج ، بغض النظر عن نوعه ، مصورا بوضوح لمسائل الحياة الحيوية ، يلجأ بحق إلى الحياة وملتصق بالحياة . وهو بعد لا يكون متفصلا مامونا ومتفلا أميناً للمواطن المكونة فحسب ، ولكنه يندو أيضا طاعة أدبية ، خلقة .

ونقول « لا » إذا كان هذا الإنتاج يشوه الحقائق أو يحرفها ، ويكذب على الحياة وعلى الطبيعة ، ويقدم ما يخالف الواقع ، فتكون النتائج حينئذ أليمة ، والعواقب وخيمة .

وليس هناك من أذنه الدعوة إلى الحق ، أو إساءة إليه إفساء الحقيقة ، بشرط أن تكون الحقيقة كلها هي التي قبلت ولا شيء غيرها ، مما يتنافى مع اللوق واللباقة ، ويمس الإحساس ويجرح الشعور . لأن تشويه الحقيقة والحريف التعمد لعمدا ليس من شأنه إلا خلق هزة أو رجعة تهب المسامر . وهذا هو لاس الضلال وجالب الضرر

الخيال . وكتب اللور والتسليو انما هي كاتولانم المقرية
نجدلينا اليها كالمفطيسي .

وهذه الاعمال ، كيفما تكون ، لا بد محببة للامال ، مخلفة
للظنون . فاولئك الذين يشاهدون هذه الاعمال ان كانت
من المراتب ، او الذين يقرأونها ان كانت من المؤلفات ، لا
يلبثون ان يضيفوا بها ذرعا ويذهدون فيها ، بل ويصجرون
متها . واسرع طريقة يمكن ان نتعلم بها كيفية القبض على
زمام الدوافع والمثيرات السقيمة بالكبح والقمع هي ان
نلم بكل هذه الاعمال ونكون على علم ودراية بالكتب التي
لا يعرف مؤلفوها شيئا من الدوق السليم .

ومعما يكن من شيء ، فقد تعلم الناس ، رجالا ونساء ،
كيف يضبطون مشتهياتهم المرضية . فلقد علمتهم تجارب
الحياة ان ليس هناك ما يمكن الحصول عليه من الاذعان او
الاستسلام الى الدوافع انحرية ، الدينية ، الا الشعور
بالبهوان واهدار القيم الانسانية ، وتلويث السمعة ،
واهدار الكرامة . . ولقد أصبحت الكتابات الجنسية من
الاشياء المبتذلة ، المنهنة ، التي تعافها النفس وبمعها
الدوق ، ويأت من الامور التي لا يرضى بها احد قط
ومن الاشياء الكريمة التي يشتمر منها الدوق .

وهنا يعترضنا سؤال عن الدوق مرة اخرى . . . لقد
خلقنا لسوء الحظ ، انا واثت والجميع لكي نناسي وننسى
ونتعذب بسبب قصور محقق ، فعلا ، لم يكتمل نصحه بعد
ولم يتم نموه . وقد يقول قائل ان التصور الفاضل والهادي
يجبر على طاعة الاغلبية المؤدبة ذات الملة والحكمة . . . فعليا
حق ، فعلا ، من جهة معظم القوانين في كتب الشريعة . .
لم يكن ثمة لصوص لما اضطر الانماء لتحميل رجال الشرطة
مشعة المراقبة والهيمنة .

ولو لم يوجد جنون السرعة ما كان هناك من حاجة الى
قوانين تحد من سرعة السيارات لكذا كيلو متر فسي
الساعة . وما كان هناك اي احتياج لما يسمى « قلم مرور »
ولا لجندي الشرطة في قسم المرور - يفتح المرور وينقله
ويقيده مخالفات لن يعصون توجيهه . ولولا وجود اناس
انخلوا من الرقيق الابيض تجارة لهم ، ومن المهارة والبهاء
متكسبا لهم ، لما كانت الرقابة من المسائل الضرورية ،
وعلى صورة مشددة .

فنحن لا يزال فينا الفاسد والفاجر ، ولا يزال فينا
اناس ليسوا على شيء من الادب او الحياء . بالرغم من
التصانيع والتعاليم الدينية والتوجيهات التي يبثها رجال
الاصلاح . ولكننا حتما مراهقون ، وكالاطفال ، نشتهي كل
ممنوع ، وننوق كثيرا الى ان نفلح ما قررت اللوائح القانونية
والنظم الشرعية الزامنا بعدم فعله .

وحينما يقال كل شيء ، وبفعل كل شيء ، يتأثر اناس
متفاوتون تأثرا متفاوتا بمؤثرات معينة . وبمعنى آخر ،
يمكن ان تعتبر احدي القصص عند البعض خليعة فاسدة ،

وعند البعض اديبة ، وعند البعض الاخر موجهة هادفة .
اذن لا يمكن ان يكون ثمة فرد او مجموعة افراد يجتمعون
للحكم على اية مسرحية او اي كتاب ويكونون في حكمهم
متساوين او متصفين عدول . لان مفكرتهم ستتكون ، على
الاكثر ، حسب ميكولوجيتهم الفردية . فمن الواضح
جدا ان تعرف كيف ان رجلا في لجنة الرقابة يمكن ان
يتأثر ، مثلا ، من قصة عن امرأة ادمست على الشراب ،
اذا حدث وكانت امراته او احدي قريباته تعاني نفس
الحالة . ونحن اذا تأملنا جيدا ودققنا باهتمام في مسألة
الرقابة من جميع الزوايا ، فسنصل حتما الى النتيجة بانها
ضارة ومؤذية .

ماذا اذن ؟ ان الشيء الوحيد الذي يمكن ان يساعدنا
على تقديم الاحترام والتبجيل للدوق السليم هو الارتقاء
بالرأي العام الذي يرضى باحتضانها وبميل الى معاونتها
والتكفل بها . ولكن كيف نستطيع ان نخلق او نكون هذا
الرأي العام ؟

وهنا ، دون شك ، يبرز سؤال فرد من الافراد : اننا اذا
لم نراقب انفسنا ، واذا لم يردع معظمنا الميول الهمجية
التي تحاول دائما ان تحقق نفسها وتثبت وجودها في كل
رجل وامرأة وكل طفل ، لكان التحصيل الاشتراكي تحسین
سلامة الدوق في الغالبية ، هراء في الهواء ، او صرخة
في فلاة . . . والنقطة ، مع ذلك ، هي انها في الواقع تدفع
العنصر الغريمه الى تحسين حاسة الدوق عنده . حتى
يقول اجتنب جدوك شيء فصار كان يدوس على اصابع اقدام
جيرانه الى ان يظهر عرمة زملائه ، او يعتدي على حقوق
الغير ، والدوق يجعل الشخص مقبولا لدى الآخرين ،
مرضيا عنه . كما انه يؤدي الى التعاون والتآزر في مساعدة
البعض لبعض من اجل اصلاح الاجتماعي ، والرقي
الادبي . . والدوق ، باختصار احسد الدوافع الثقافية
العظيمة التي يمكن افتنائها .

ومسألة خلق الدوق او تكوينه تتطلب ، بطبيعة الحال ،
التمكن منه في سن مبكرة من الطفولة ونسأل بعد ذلك عن
القدر الذي تكبح به الطفل وتنمعه كم يكون ، والى اي مدى
تركه يروح عن نفسه بطريقته البدائية ، والى اي حد
تركه لتزواته الفطرية ، فهذه قضية معقدة ، ومسألة من
الصعب حلها ، ولا يمكن الاتفاق بشأنها او الوصول الى
تسوية مقبنة او قرار حاسم فيها يكون فيه فصل الخلاف .
نعم . . الى اي درجة ، يجب ان تلقن الطفل وتعلمه كيف
يكون على نفسه رقبيا ؟ . .

ان اطباء الامراض العصبية واطباء الامراض العقلية معا
يعرفون تماما ما هي الافات والسيئات التي يمكن ان تندفق
من الرقابة الذاتية التي تزيد من الحد المألوف . ومن المؤكد
ان شعورنا بالآثم والخلفية ، واعتقادنا بالدونية واحساننا
بالدناءة والانحطاط والتأنيب الذاتي ، وغير ذلك من الاعراض
العصبية انما تندفق كلها من هذا منبع العام .

لماذا ؟

لماذا آتيت	تجسد زهره
بهمة حب حنون	لماذا آتيت ؟
تغير مجرى حياتي	انتظرتك امسى
تغير ذاتي	بسبب الشتاء
اعلم ان حياتي بكاه	مع القيل والزهرير الخفيف
وللبي جماد	وجئت
وعصري ارحس	دكاست اليك
والي الغير نفسي	بكيت
بشيء بسيط	انتعرت بصدره
بهمة حب نلال	كنت لطيف
لماذا آتيت ؟	السم لمرسي ؟
اجئت لا يكي اليك	فلتي من جراد
لا لندب عصري	وكاسي تراب
لا يكي اليك	وزادي رفيق
اجئت لا يكي اليك	والي احس
تسور شمس	بحوج عنيف
رشمسي نطقا ؟	والي اخيف
اجئت	لماذا تجيء الي
لعاجتني في رفاذي	لماذا ؟
بحلم الرجاء	الم يكلني بعد
تراني اساجا ؟	هذا الخريف
صباحك من اي فجر	الكوره - لبنان
	ادوار الزغبى
	نحسب بجهد قلبي

لهذا الواجب من الرقابة ، ولنعمل بما قال وليسم جيسى
المالم النفساني الشهير : « لنكن عمليين » وهو انما يقصد
بهذا ان ننتمي الى المذهب العملي ، مذهب الدرائع ، المذهب
القاتل بان اهمية المباديء في نتائجها العملية .
ولكي نكون عمليين في هذه الحاسة ، علينا ان نتخذ
قاعدة للسلوك ، ونربي في انفسنا نظاما للعادات ، ويكون
لنا مييزات وخاصيات نكتشفها في ذواتنا لننتفع بها ، (وكل
امرء رهن بما يؤذي) . وفي هذه الحالة يقدر الشخص
اكثر قبولا . وهذا هو الطريق الذي يجب ان ينتهي اليه .
ونحن في الواقع لا يمكن ان نعمل غير ذلك . ويجب ان
تكبح جماح انفسنا ، ونكون رقباء عليها بآية كيفية وبآية
حال من الاحوال . واذا لم تفعل ذلك فستكون دنيانا اكثر
قوضى ، يضرب في اطنابها الاضطراب كما يجب الا يفت
احلنا في وجه الاخر ، ولا يصده عن سواء السبيل .

اما اننا تكبت لاننا نخاف من مواجهة الحقائق او الظروف
فهذا احد الامور . واما اننا تكبت ، من جهة اخرى ، عن
علم ومعرفة وبوعي وشعور ونفهم كامل باننا لسنا متبوذين
او مكروهين - وانا بكلمة اخرى ، تكبت للغير العمام
وللمصلحة الاجتماعية - فهذا شيء آخر !!

والجهل والخوف مضافا اليهما الخجل والحياء ،
مزوجين بالتمنع مع الرقابة الذاتية - كل ذلك مبعث
الضرر والاذى . ولكن ليس ثمة اي انسان يناله اي اذى
او يمس اي سوء اذا هو ردع نفسه وكبحها عن علم ودراية
وبحكمة وفطنة وادراك . فلا يمانى من الذاتية المكبوتة ولا
يقع تحت صراع نفسي يعجز « الانا » عن مواجهته فيتجاهله
فيلوذ باعماق اللاشعور . فهو حينئذ يوقف سيرته عند
كل اشارة حمراء ، حتى ولو كان القائم بتنفيذ القانون ليس
موجودا .

عبد العزيز جادو

الاستكبرية

نعم ، ليكن عندنا ذوق ، ولنكن ذوي حساسية بالنسبة

القضاة والدعابة

يقلم جان بول لافروى

ترجمة سمير شيبخاني

في محكمة الجنح يمكن العدالة ان تتراح وترخي العنان لنفسها ، فتزغ عن وجهها قناع الماساة لتبدو كما هي في الواقع : اما فتاة طيبة ، او شرسة ، وذلك حسب طبيعة القاضي الذي يمثلها او مزاجه ! ..

وعنا ، في الواقع ، البطل ليس المتهم ، كما هي الحال في محكمة الجنائيات ، ولا حتى المحامي ، بل البطل هو القاضي .

وعلى ذلك فان اكثر رؤساء محكمة الجنح هم اناس حيويون الى ابعاد حدود الحيوية ، لافرق بين اولئك المتلمذين منهم ، او نافذي الصبر ، او القكمين محبي الدعابة ! فبوسعهم ان يكونوا كذلك ، وساعة يشاؤون يمكنهم ان يسمحوا لانفسهم بارسال النكات والاقوال الساخرة اثناء الجلسات . ذلك بانه ليس في ايديهم الجبابة او الدرب كما هي الحال مع رؤساء محكمة جنيف **فلا احكام** التي يصدرونها تتراوح بين ايام في السجن او شهر ، او حتى لا تتمعدى الغرامات التقديرية . وهذه مجموعة من الطرائف والوادرات التي كانت محكمة الجنح مسرحا لها .

● حوار بين متهم وقاض :

— سيدي الرئيس ، انا لم افكر .

— كان ينبغي لك ان تفكر ، يا صديقي . واذا كان للرجل رئيس كالديوس ، فذلك لكي يحول بينه وبين الذهاب بعيدا

● قول منطقي لاحد القضاة :

— ان المتهم سيتعلم على حسابه ان اشكال العدالة اقل جمالا ومنعة من اشكال السيدة بران الارملة ، المدمية ، التي دامها بكل وقاحة في معنى مظلم ، ليلة الثامن من كانون الاول الثالث ! ..

● كان احد المحامين يترافع منذ ثلاث ساعات مغرقا هيئة المحكمة والسامعين بخضم من التشريعات ، حتى قال : « وسأتلو على مسامعكم ايها السادة نصا آخر هو السابع عشر في هذه الجلسة ، وقد اصدرته في ٢ ايار سنة ١٨٩١ محكمة اوليان ... »

وهنا قاطعه الرئيس بيرفييه بقوله : « اورليان ، توقف مدة خمس دقائق . رفعت الجلسة . » (اورليان هي

في باريس احدى محطات السكة الحديدية .)

● قال احد القضاة لمتهم بقيادة السيارة وهو في حالة السكر : « قرات في التقرير الطبي ان هناك في الواقع قليلا من الدم في خمرك .. وهذه هي المرة الثالثة التي يحدث لك فيها مثل ذلك . »

● اطال المحامي دفاعه ، فقال له الرئيس ميل : « اختصر » فاجابه :

— كما تشاء ، يا سيدي الرئيس ، فانا لست ارجب في العجلة لكي اتبع الوقت الكافي لخصمي المتأخر ان يصل في الموعد المناسب . والواقع اني حاولت ان امتنع المحكمة قليلا في هذه الالقاء .

● قال القاضي :

— في المستقل دعك من هذا الامر ، فالمحكمة تحب ان تختار بنفسها وسائل متعتها !

● ومن القضاة الآخرين ، المتكلمين بلطف ورقة تذكر الرئيس بول لوسيان فهو الذي قسال في حيثيات احد الاحكام : « على الرغم من مرافعة الوكيل فاننا لا نعتبر المتهم مذنباً » . وفي احدى الدعاوى مس بسخريته الكورنيكيين الذين تنتهي اسمائهم بلفظة « اي » . ولكنه سرعان ما تنبه — بعد فوات الاوان — الى ان المحامي المشهور مودو — جيايفري يجلس في مقعد الدفاع ، فاذا به يارع الى القول والابتسالة على شفثيه :

— « ايها الابتزاز ، كم اعتذر منك . ولكن على سبيل معاقبتي اسبح لك بان تطلق علي اسم باولو لوسيان . »

● كان الرئيس ديليون يحاكم ساياما شابا طموحا يدعى غاستون داكوستا ، وكان هذا يرسل التحذيرات لمناسبة ولغير مناسبة مما حمل القاضي على تهديده بقوله :

— اذا اتت واصلت تهجمائك على المحكمة فاني احكم ببرائكك .

● في احدى الدعاوى (تضارب زوجين ادى الى جراح) شدد محامي الزوجة على مظهر الزوج النديم ، قائلا :

— صحيح انه يسمح للجميع بان يكونوا على شيء من النعمة ولكن ثمة حدودا ينبغي احترامها . حسنا ، ايها السادة ، ان هذه الحدود قد تجاوزها بجرأة تبلغ الوقاحة الزوج ! .. امكن ان يكون على وجه البسيطة امرؤ ايشع من الزوج هذا ؟

— استاذ ، انت نسيت نفسك ! ..

● قال القاضي للشاهدة :

— ما عمرك ، يا سيدي ؟

— تسع وعشرون سنة .

— العاهرة ، انا لم اوضح نفسي ، ففي اي سنة ولدت ؟!

« وهذا حوار آخر بين متهم وقاضٍ :

— سيدي الرئيس أن زوجتي تخونني مع جميع رجال المدينة . أنا ملك المخدمين !

— فتهب به القاضي :

— كن متواضعا ، يا هذا ، واذكر أن نابليون وموليير كانا قبلك كذلك .

« وبين قضاة محكمة الجنج الذين اشتهروا وتركوا اسما يتردد حتى اليوم ، يبرز اسم انقاضي روايه، رئيس الغرفة الثانية عشرة الذي عرف باللقب الشهير « الرئيس دقيقة » . فالحاكمات التي كان يتراسها ضربت الرقم القياسي في السرعة ، حتى أنه فصل مرة باربعين دعوى في سبعين دقيقة . كان ذلك يجري على الشكل التالي :

— الاسم ؟ لا فائدة من ذلك فانا امرقه . اعترف بالقائع ؟ لا ؟ الكلام لك يا محامي الدفاع ، فاجز .

فما ان يتلفظ المحامي بجملة الثالثة حتى يقاطعه منلفظا بالحكم :

— ثلاثة اشهر ، وغرامة ستة آلاف فرنك . الى اللعوى التالية .

والواقع انه كان لدى الرئيس روايه جدول للعقوبات فيه بعض الارقام من مثل ثلاثة اشهر سجن ، وستة آلاف فرنك غرامة ، او اربعة اشهر سجن وثمانية آلاف فرنك غرامة ، او ستة اشهر سجن و١٢ ألفه مئة غرامة .

وحاول مرة محام يدعى فوربه ان يحتج عليه تصفيته في هذا الرئيس فقال له :

— سيدي القاضي ، لقد نظمت دفاعي على الشكل التالي : ربع ساعة للقدمة ، ونصف ساعة لمرش الوقائع ، وثلاثة ارباع الساعة للمناقشة وخمس دقائق للخاتمة ...

فقاطعه القاضي بقوله :

— ابدا بالخاتمة فالمحكمة تصفي اليك ..

« الا ان محاميا يدعى جورج بوران استطاع ان يقدم مرافقته بكاملها . فلما تدخل الرئيس روايه طالبا اليه ان يختصر في كلامه ، نهض وتلفظ بكلمة واحدة هي : « الرحمة » . وعاد يجلس في مكانه . مما اضطر « الرئيس دقيقة » الذي قلب على امره ، على اصدار الحكم ببرائة المتهم .

« ويتضمننا الانصاف ان نذكر ان المحامي بوران كان له سلف في مثل هذه الامور هو المحامي ليون كليري الذي ما ان قاطعه رئيس المحكمة حتى انتهى مرافقته باربع عبارات اشار باصبعه الى موكله قائلا :

— هو بري !

واشار الى المدعي :

— هو شرير !

واشار الى الرئيس :

— أنت قاضي عادل .

ثم جلس مرددا :

— انا ، انتهيت ...

« وقد عرفت محكمة الجنج كذلك « الرئيس الاقصى » . ويدعى دوبوي رئيس الغرفة السادسة عشرة . فبعد ان يصدر اوتوماتيكيا اقصى عقوبة يفرضها القانون مهما تكن الجنحة . وكثيرا ما كانت حماسته تدفعه الى تخطي حدود العقوبة ، فيقول مثلا لمسارق بالئس : « خمس سنوات سجن » . فيهمس الكاتب في اذنه بكل احترام :

— ولكن العقوبة ، يا سيدي الرئيس ، في مثل هذه القضية سنتان فقط .

« اما سلف دوبوي هذا فهو المشتزع الايني دراكون الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد . فقد فرض العقوبة القصوى بلا اي تمييز على كل الاخطاء موضحا عمله بقوله : ذلك بان الاخطاء الصغيرة بدت لي انها تستحق الحكم بالموت ، ولاني لم اجد عقوبات اخرى للاخطاء الكبيرة . ولكن الايني نفوه عندما لم يعودوا يتحملون وطانهم .

« وتعود الى فرنسا في عصرنا هذا فنفرده مكانا للرئيس ريشتر ، رئيس الغرفة العاشرة . وقد عرف عنه انه قبل اصدار حكمه كان يلتفت الى معاونه الايمن ويساله :

« لم تحكم عليه ؟ » . فيجيبه معاونه مثلا : « ستة اشهر » . فيقف ذلك الى معاون الايسر ويساله : « وانت ما حكمتك ؟ » ، فيجيبه : « اربعة اشهر » . وعندها يصدر حكمه :

— ايها المتهم ان المحكمة تقضي بسجنك مسدة عشرة اشهر .

« اما الرئيس كوب بوي فيلجا الى نوع آخر من القسوة كان يتوقف وهو يقرأ حيثيات الحكم حتى اطلق عليه لقب « الرئيس اثارة » :

— لهذه الاسباب تقضي المحكمة على المتهم بـ ... وبروح اذ يتوقف عن هذا الحد يبحث في جيوبه عن علية التبغ ، ثم ينادي المباشر قائلا له : « هنري ، لقد نسيت مندبلي ، ولا ريب ، في جيب سترتي ، فائتني به يا صديقي . في هذه الاثناء يكون التهم قد تصبب مرقا وهو ينتظر الكلمات الاربعة الاخيرة التي ستحدد مصيره ، والحكم الذي يستحقه .

« وهذه النادرة اخيرة من سادبة بعض رؤساء المحاكم : — انت تدعى دوران لويس ، ومتهم بالشر ، فهل حكم عليك من قبل ؟

— لا ، سيدي الرئيس ...

— اذا ، سيحكم عليك !

سمير شيخاني

رفعت رأسها بسرعة عن لبيب
وأورد الجاز الذي هب في وجهها
مجة . احترقت خصلة من شعرها
المنحني . زادت أكتافها للدرجة الرغبة
في البكاء ، عاصفة من الحزن وجدت
في قلبها ملاذا طيبا . بخيوط الأمل
المهزوم تسحب الدمع عن مقلتيها .
تحاول دائما اذابة موجات الضعف
القاسية بصبر تفكيرها في العمل .
ذبل لبيب الوابور فعادت تعطيه نساء
ليصبح عتيقا . وضمت عليه كسولة
المالوخة ووضعت الحجام على البورتاجار
في كسولة كبيرة . الموجات الغروبية
مركونة في صدرها . تلطمها لطعات
خفيفة في أحاسيسها . ترد اللطعات
بفسل الصحون والملاقق والشسوك
والسكاكين و . . هدير الوابور جعلها
تنهي عملها في المطبخ بشيء من
العجلة . لمست واجهة النيلة
والبيوتوجاز والفلسة بالمش والتابيد
ومسحت البلاط . نشفت رجليها
والشيشب من الماء بخرقة جافة .
وقفت على عتبة غرفة الضيوف .
عينها طاحونة السم تجرش كل
ابتسامة . صورته معلقة على الحائط .
يتشمم ابتسامة بلها . . المرة الثانية
التي فسطح فيها . المرة الأولى
قبل أربعة أشهر يوم زفافها .
دفعت نفسها ورتبت مزهريه
الأورد . مسحت الترابيزات ووضعت
رجل إحدى الكنبات على نهرو في
السجاد . رشت الفرفة « بالفلت »
.. وأغلقت الباب .
لم تعط الصلاة اهتماما كبيرا جدا
لعدم حاجتها لذلك . فقط . . مسحت
وجه طاولة الأكل الموجودة هناك .
انجبت الى فرفته . كان غارقا في
النوم . فمه منفرج عن أسنانه
الترابية . ذفته طويلة مقرقة . شعر
رأسه منكوش بشكل مزيج . يخرج
زفيرا مسموحا . تشمعت عندهما
تجلس معه . حديثه ممل ومتعب .
- عيسى ..
ولكرته برفق في كتفه ..
- عيسى ..

- هه .. هه ..
- صباح الخير ..
عرك عينيه بأصابعه ..
- صباح الخير .. كم الساعة ؟
تناولت ساعة عن الكمودينو الملاحق
للسرير . قرأت صفحتها .
- العاشرة تماما ..
- ياه .. افتحي الراديو .. بسرعة
.. على عمان ..
الترانزستور على نفس الكمودينو .
أدارت مفتاحه . لحلت من السام
أفشعر لها كيائها .
قال المذيع في موجز الأخبار
وعيسى منقلب الى أذن تسمع -
ان أربعة جنود إسرائيليين قتلوا في
اعتداء على القدس . صباح عيسى

بطاقة الحب الزرقاء

بقلم فخرى فعوار

بكل عمقه :

- الله الله .. أربعة !! .. تحوري
يا نجاح أربعة إسرائيليين ماتوا يا
سلام ..

أجابته ببرود وعدم رضا :

- قم اغسل وجهك أحسن لك .
قرب ميعاد مدريك خليل أفندي
وزوجته . وخرجت .

الفصام الأسود يعيش في
شرايينها . الطريق الممتد الحزين
تبدو نهايته قائمة كرحلة الأمل
الكبير . تبحث عن رغبة الحبيب
والعراء . لحظة الأمان .. لحظة
تغيب فيها عبر عيني رجل لا قرار



لهما . رجل وقور أمام الناس .
يحلق ذفته .. بلا شنب وتقوده كما
النهر الخالد ! ..

اعتنت قليلا بالبيخ ثم غسلت
وجهها . قدمها ينسحبان خلفها
الى غرفة النوم . عيسى يقص
بخطواته صفحة ضحج الوابور
الموزون . جلست أمام مرآة التواليت
الصغيرة الهواة . جففت وجهها .
رشته بالبودرة وطلته ببطقة خفيفة
من الكريم . مرت بفلم الروح على
شفتيها بحمة .. حكّت شفتيها
معصهما . لامست سباتها قلم
الروح ، وضعت برفق على خديها .
دعكتها . فركت وجهها جيدا حتى
بدا بلون طبيعي . دخل عيسى
والصابون على وجهه . لم تنظر اليه
عندما تاملها في المرآة . أخذ شيئا
وخرج . كانت تسرح شعرها . لا تقرب
في النظر اليه . لا تحب ان تقرأ
ملاحمه أكثر مما فعلت . عيشاه
الصغيرتان اللتان لا تحمّلان أي
عبس . انه الطويل المثقوب
مرتين بافراط . شارب البني
أضطرب . هو .. هو .. لا داعي
لان تقرأ وجهه أكثر . شعثاه .. أه
.. لا تعرفان الا الحديث في فلسطين
وطاولة الزهر والأصدقاء المتحمسين
وليس له من الدنيا غير راتب شهري
قليل وبطاقة مؤن زرقاء . رجاءها
مرة أن تكون محوّر ما يربطها من
علاقات . يا الله ! ابن رفوة الحبيب
والفراء ؟ .. أين لحظة الأمان ؟
امطر جرس الباب بفزارة . تحركت
كل خلايا جسمها . التقت ظفيريها
الفحمة على ظهرها . التقت على
نفسها نظرة أخيرة في المرآة . رعبت
بجمالها . نهضت لتفتح الباب . كان
عيسى يسبقها . خليل أفندي فقط
من غير زوجته . يتشمم بوقار عن
أسنان ظفينة . وجه حليق أملس .
بلا شنب . طويل . عريض الصدر .
يا لجمال عينيه . عيناه غابتا ظل
ولك ..

— نجاح .. سلمي على خليل
افندي ..

تفاجأت بيد الرجل مدودة امامها
في يده خاتم ذو فص وهاج . سعلت
يدها بارتجاف فضاضت في يده
الكبيرة . شعرت بقشعريرة تسري
في جسدها . يده دائنة عظيمة .
قال عيسى مشيراً الى غرفة
الضيوف : — تفعل ..

سحب يده بلا مبالاة . مدّها الى
جيب صدره . اخرج ساعة ذهبية
مدورة . اعادها مكانها .
— اعتقد انني لم اناخر ..
قال عيسى : — ابدا .

جلس الرجل على كبة في صدر
الغرفة . جعل عيسى بينه وبين
خليل كنية وجلس . نجاح واقفة
على العتبة ما زالت تنظر السوي
الرجل . مر بيائها خاطر جعلها
تسهر بالحياء . احمر وجهها بهتف .
اذناها جتنا بتدورة شتوية . لسو
كان خليل زوجها .. لو .. هسو
رغبة الحليب والفراء . في يده لحظة
الامان ، تصورت ان قلبه مطوف
حنون ، وصدوره اشد دثنا وامانا
من يده . يا بخت زوجته .. آه ..
— اين الدمام يا خليل افندي .. ؟
قال بصوت وقور معتدل :

— حصل ظرف منكم من المجيء
مطلت شفتيها بانفسامة لا رائحة
لها . خرجت . اطفاك الوايسور
والبوتاجاز .. صبت الطعام في
الاطباق وفكرها في الغرفة الاخرى .
يبدو ان الموجات الثربوية مالت الى
الهدوء . لمسات خفيفة من الضوء
تغطي قم الامواج الواهنة .

صفت اطباق الطعام على طاولة
الاكل . وضعت الشوك والملاعق
وفوط السفرة بترتيب اصحها .
تأثرت قليلا لانها نسيت ان تخرج
مزهرية الورد قبل مجيء خليل
لتضعها على الطاولة . التفت نظرة
استعراضية على اناقة الطاولة .
وجدت نفسها قد نسيت ابريق الماء
والكبايات . احضرها بسرعة !

وقفت امام عابتي الظل والليلك .
— تفعل .. الاكل جاهز
تبدبب شبب عيسى باضطراب
عندما فعم : تفعل ..
اخرج شفتيه عن اسنانه القطنية .
— متشكر ..
طلع جاكنته . تلففتها وعلقنها
على مشجب قريب . جلسوا .
قال بوقار — ساكن لقمتمين
وامشي ..

لم يعلق احد . قالت نجاح مجاملة
وهي تدفع امامه صحن ارز ..
— تميت ان تكون الدمام معك ..
غرف من صحن اللؤلؤة باللمعة
وهو يقول : ذرني محتونة ..
اضاف : .. و .. سخية ايضا ..
وضع لقمة كبيرة في فمه .
اكمل ، وشعناه نرجان موتسا
مزعجا من عملية الاكل :

— غصص لاني رصب ان احد
الصغير زهير معنا .. محتونة ..
اكرت اعصابي .. فضربتها بمفتاح
كأيت في يدي .
انجل حوضيحه الحليب والفراء .
اخرجت نجاح سولاً : به ؟!
— وسند سامه تقريبا خرجت ذاهبه
الى البلد عند اهلها .. ومهما زهير
.. قال عيسى .. لم لم تستدرك
الموقف ؟

قال : كبريائي يا عيسى ..
في تجويف رأسها فراغ . فسي
صدرها فجسوة ضاع محتواها .
شيء لعين سقط منها . بحث في
وجهه عن شيئا . لم يجد للحظة
.. لحظة الامان الربلية .. لم تجد
الظل والليلك .. حتى فراغها ظل
مشروخا . الرجل يأكل بطريقة
غير ليقة . صلعته الصغيرة المساء
تلمع من حركات فمه . يبدو انه
شبع . دفع مقعده قليلا الى
الخلف .. الحمد لله ..
عيسى يستحلفه ان يستمر في
الاكل . الرجل يتشكر ويتعسل
سيجاره .

عاد الى غرفة الضيوف . وراحت

تعبد الصحن وبقياء الاكل وادواب
السفرة الى المطبخ . كسرت صحن .
لم يأت عيسى ليظمن . يبدو انه
تجاهل الموضوع امام الضيف .
سمعت الرجل يستأذن للخروج .
عيسى يدعوه الى الاستمرار في
الجلوس . يرفض لانه سيذهب
ليعيد زوجته من البلد . احضرت
له جاكنته . ارتداها . صافح عيسى
مودعا . صافحها . خيل اليها ان
يده اصفر مما كانت ، قبل قليل .
هذه يد اخرى وباردة ايضا . سحبت
يدها . خرج .

في داخلها فراغ وبقياء كآخر
المائدة . بلل خفيف من موجات
العروب . لمسة مينة لجثة الظل
والليلك والحليب والفراء . عطش
للحظة غنية حنونة . عيسى مستلق
على السرير . خلعت ملابس المطبخ .
جلت امام امرأة التواليت . فكّت
ظهيرتها الضخمية الموجهة . يحبه
متدققا كشلال عتمه . كان ينظر
اليها في المرأة . نظرت اليه . بمهما
وضعت الشعل على الترابيزة
والصغيرة . نهضت . وقمت عيناها
على الطاقة الزرقاء : « لكن محور
ما يربطنا من علاقات » . وضعت
وجهها على صدره . سال الليسل
على بيجامته الخضراء . رفصت
وجهها . تأملته . تأملته طويلا ..

قال : ما لك يا نجاح ..
لا شيء .. لا شيء يا عيسى .
احست عيناها ادمعت . لا شيء . كل
— هناك اني .. انني ..
— اجك يا عيسى .. اجك ..
امطرت عيناها على الحقل الفتي .
بلت وجهه . شيء مربع ازرق ملق
في قاع فراغها . الشيء يتوهج .
وضعت ذقتها على جبينه . لسم
يرضا ان تنظر الى الواسدة . اثراحت
راسها . تحركت التيمتان المطرئتان .
الحقل يوشك ان يعطر ايضا !
احست برضاب فمه على شفتيها .

الزرقاء — الاردن فخري قموار

السبع محمد هاشم - الاب مرمجي محمد عبد السلام البرغوثي

بقلم البدوي المثلث

١ - الشيخ محمد منيب هاشم

ولد في نابلس عام ١٨٥٥ من ابوين كريمين يمتان بنسبهما لسيدنا جعفر بن ابي طالب احد شهداء معركة « مؤتة » الشهيرة ، وتعلم القراءة والكتابة ودرس القرآن الكريم في المدرسة الاهلية الكبرى بنابلس ، ولما تمكن من العلوم الابتدائية شرع في طلب العلم ثم بدا له الذهاب الى مصر لزيارة اخوة له يطلبون العلم في الازهر الشريف ، ولم يكن يرى طلاب العلم في اروق الجامعة الازهرية حلقات حتى تحركت فيه عاطفة البقاء في القاهرة طلبا للعلم بقي فيها وطفق يتلقى العلوم عن اعلامها في ذلك العصر كالشيخ محمد الانبائي والشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد الاسموني والشيخ ابي العز وغيرهم من شواجح الزمزم الشريفين ، وهناك قرأ على اساتذته الفقه واصول وعلم الكلام والفقه والحديث والصرف والنحو والمنطق والبلاغة وعلم اوضح وآداب البحث ، فدلل في دراستها على ذكاء مفرط واقبال على فهم المواد التي درسها .

وبعد خمس سنوات سلمها طالبا في الازهر الشريف ، زوده اساتذته المحققون بشادة تدل على مدى ما وصل اليه هذا الفقيه الواسي من التفوق على اقاربه مع صغر سنه ، ومما جاء في شهادة مجيزه :

« كان ممن ورد علينا من بيوت السيادة والمجد ، ومواضع الرفعة والحمد ، متمصا بتقوى الله فيما رام من الفضائل الازهرية ، مؤيدا بالتوفيق وسمي العزمات القوية ، وعكف على هذا المطلب الاسمي حق العكوف ، ووقف في المقام الاسمي على قدم الصدق فيه اوثق وقوف ، فاسمعه العناية ، وواتته الإمدادات ، فنظم ونثر ، وحرر وقرر ، وادرك في ازهرنا غاية في الاحاطة وثرة الملكة والحفظ مع صغر سنه وقرب عهده بالبلوغ ، حمى فيها حومة الميادين ، وانتطعت عنه مبارزة الاقران ، واذعن لباهر فضله الواقع وحقيقة العيان » .

ترك هذا الشيخ الواسي اثرا طبيا بين علماء مصر ، وريثته صداقة بالشيخ محمد بنحيت ، ودرس كلاهما على الشيخ محمد عبده .

وعاد الشيخ محمد منيب هاشم الى نابلس مستقط رأسه يحمل شهادة العالمية من الازهر الشريف لكن نفسه الطموح أبت عليه الوقوف عند هذا الحد بل حملته على زجسارة الاستانة وفيها تعرف على علماء المشيخة الاسلامية فكان موضوع تقديرهم واعجابهم بعمله الجرم وعقله الراجح ، فممن عضوا في مجلس تدقيق المؤلفات وبعد عامين من هذا التعيين اختير قاضيا شرعيا لطرابلس الشام فكان في عمله هذا مثال العدل والنزاهة ونصف المظلوم ، مما جعل الاهلين يلهجون بذكره ويشنون عليه . وبعد مدة نقل الى لواء - قره سي - بالاناضول فادى وظيفته الشرعية خير اداء ، ثم نقل الى مدينة بنغازي بلبيبا وكلا للقضاء الشرعي فمكث سنة هناك ثم عين قاضيا فيها ، ثم عين مفتيا بنابلس فمكث فيها خمس سنوات ثم انتدبته المشيخة الاسلامية عضوا في محكمة التمييز في الاستانة فلبى الطلب وزاول عمله الجديد بما عرف فيه من عفة ونزاهة . ولما ايقن من اتساع شقة الخلاف بين اعضاء هذه المحكمة اثر الاستقالة والرجوع الى نابلس ليقضي فيها ما بقي من ايام حياته وليتلقى الفتاوى من سائر انحاء العالم الاسلامي ويرود عليها نظما . وسرعان ما رشحه مواطنوه لمنصب الافتاء وظل يشغله الى ان لحق بربه في ٢٥ شعبان ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤) .

من آثاره القليلة : ترك الفتاوى الشيخ محمد منيب هاشم طائفة من المؤلفات الفقهية واللغوية التي ما برحت مخطوطة واشهر ما عرف منها : ١ - حميد الآثار في نظم تنوير الابصار . ٢ - مجموعة سبع رسائل هي : ١ - القول السديد ، في احكام التقليد . ٢ - رسالة الكلام على وحدة الوجود . ٣ - غاية التبيان في مبادئ علم البيان . ٤ - رسالة القسطاس المستقيم لما في تبيان التعليم . ٥ - رسالة في الكسب . ٦ - ارجوزة في علم الكلام . ٧ - نظم متن الستوسمية (ارجوزة في علم الوضع) . وعلق على كتاب (فتوى خاتمة الجديدة) تعليقات معيدة متيحة .

٢ - الاب اوسطين مرمجي الدومنيكي

ولد ببغداد في الحادي والثلاثين من تموز ١٨٨١ وتلقى دروسه الاولى في « المدرسة السورية - الكلدانية » بالموصل وزامل فيها نياحة الكردينال تبوني . وخلال سني دراسته كان تواقا للانخراط في سلك الرهبانية الدومنيكية وكان لهذه الرهبة فضل في تسديد خطاه الاكليريكية فحين كاهنا في بغداد حيث ادار الكلية السورية ثم في البصرة وتولى تدريس العربية والفرنسية وآدابهما ثم الخطابة والمنطق والفلسفة .

وخلال الحرب العالمية الاولى اصيب بالثيفوس لسهره على المرضى المصابين بهذاء الداء وعهد اليه بادارة الكلية الكرمية وفي عام ١٩٢٠ حقق المسؤولون الاكليريكيون رغبته فانخرط في رهبانية القديس دومنيك وفي ٨ تموز ١٩٢٢

انتسح بمصر هذه الرهبانية وأصبح راهبا بسيطا فسي سان مكسيم بالبروفانس حيث توجد عهد ذلك دار المبتدئين بعابنة تولوز ، وفي ٧ شباط ١٩٢٤ عاد الى بيت المقدس واحتفل بربانيته احتفالا رائعا صباح ٩ تموز ١٩٢٦ .

وابان تمرسه بالرهانية الدومنيكية شرع في تعليم اللغة العربية وظهر فيها براعة وعلما وتعمق في دراستها طيلة حياته واشتهر بالنظرية الثنائية والالسانية السامية وقد ألف فيها كتابا كانت موضع إعجاب وتقدير علماء العربية أغنى اللغات السامية طرا ، ولعلها أوفر ثروة من النظرية قام بابحاث وتحقيقات لغوية لم ينشر منها الا قسم ضئيل وأجرى الأب مرمجي احصاء لمجموعات سامية قكن على وجه التقريب التالي : « يبلغ مجموع اصول العربية (٧٢٢٠) ومزبداتها (١٢٠٣٢) في حين ان اصول اللغات السريانية والعبرية والحبشية والاكديية مجتمعة تبلغ (٤٩٥١) ومزبداتها (٨٦١٠) ولذا يسوغ القول ان العربية أغنى اللغات السامية طرا ، ولعلها أوفر ثروة من لغات العالم قاطبة » ، واقتراح من الاب لآكرانج نشر مؤلف تائيان وعملنا بنصيحة الاب ايل ترحم الى الفرنسية النصوص الجغرافية العربية المتعلقة بفلسطين .

لم يكن الاب مرمجي لغويا فحسب بل كان خطيبا معوها وجمع بعض خطبه الدينية والفلسفية ، ولم يحل عليه الروحي المشرع دون متابعة التعلل فاقدم على ترجمه انجيل السيد المسيح لمؤلفه الاب لآكرانج والانجيل الابيه ليسى اللغة العربية .

واعترافا بسعة علمه وتضلعه من العربية انتخبه الى المجمع العلمي العربي بدمشق عضوا فيه عام ١٩٤٧ كسا انتخبه المجمع القومي المصري بالقاهرة عضوا فيه عام ١٩٥٥ ، وخلال السنوات الطوال التي عاشها في بيت المقدس كان يقصده المستشرقون ويتحدثون اليه باصول وقواعد اللغة العربية وفقها .

ونشر الاب مرمجي مقالات لغوية في امهات المجلات العربية كالمشرق والمقتطف والاديب ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، واحسن من الالسن القديمة كتابة وتكلما : العربية ، السريانية ، العبرية ، التركية ، اليونانية ، الاكديية والحبشية ، واحسن من اللغات الأوروبية : الفرنسية ، الانكليزية ، الابطالية ، الاسبانية .

وفي أخريات أيامه ساءت صحته فلم يدر الدومنيكان بالقدس لم اضطر الى دخول المستشفى الفرنسي وفي يوم ٢٨ نيسان ١٩٦٣ انطفأت شعلة حياته وفي اليوم التالي شيع جثمانه جمهور غير من قادري ادبه وفضله ودفن في كنيسة القديس اتيان بالقدس .

من آثاره العلمية : (١) انجيل يسوع المسيح - وفيه قصة حياته وتعاليمه ومعجزاته ، وقد ترجمه الاب مرمجي عن الفرنسية عام ١٩٢٨ . (٢) الدياباطرون او الانجيل الرباعي : ترجمه الاب مرمجي من الفرنسية عام ١٩٣٥ وعارضه

بالترجمات السريانية القديمة . (٣) المعجمية العربية على ضوء الثنائية السامية : نشرها عام ١٩٣٧ . (٤) هل العربية منطوقة ؟ : مباحث في الثنائية نشرها عام ١٩٤٧ (٥) محاضرات مختارات : نشرها عام ١٩٤٧ (٦) بلدانية فلسطين العربية : نشرها عام ١٩٤٧ (٧) بلدانية فلسطين العربية : (مترجمة بقلمه الى الفرنسية) ، (٨) قواعد اللغة الاكديية (الاشورية - البابلية) (٩) ماهية الثنائية الالسانية والالسانية السامية . (١٠) المعجم الثنائي - الاللسي - السامي . (١١) الاثائية الانجيلية : نظمها باليونانية والافرنسية الاب لاكرانج والاب لافيرن الدومنيكان ونقلها الاب مرمجي عن الفرنسية الى العربية عام ١٩٤٨ . (١٢) معجميات : عربية سامية نشرها عام ١٩٥٠ .

٢ - محمد عبد السلام البرغوثي

ولد في « دير غسانة » بقضاء رام الله وتلقى دروسه الاولى في مدرسة قريته وانهى دراسته الثانوية في الكلية العربية بالقدس عام ١٩٢٨ ونظرا لتفوقه اوفدته مديرية المعارف في فلسطين بعثة الى الجامعة الاميركية في بيروت ليدرس الرياضيات والطبيعات وفي عام ١٩٣١ نال شهادة بكالوريوس علوم وعاد الى فلسطين وكان اول عمل راوثة للتدريس في ثانوية طولكرم الاميرية ومنها نقل مدرساً لمديراً لثانوية البينين في حيفا وبعد ان سلخ فيها سنتين دراسيتين نقل في عام ١٩٣٥ الى القدس ليدرس الرياضيات والطبيعات في الكلية العربية والكلية الرشيدية وفي عام ١٩٤٨ استقال من التدريس ليعمل سكرتيراً عاما للبنك العربي بالقدس .

وفي عمله الجديد هذا طفق يبت المحاضرات في العلوم والتاريخ والاجتماع من دار الازاعة الفلسطينية وينشر الافتتاحيات القومية والتعليقات التوجيهية في جريدة « الدفاع » الفلسطينية قبل النكبة وبمدها وعالج ابحاثا في الاقتصاد والعلوم والاداب نشرها في مجلة « الكلية العربية » و « العروى الوثقى » و « المنتدى » .

وتميز الفقيه البرغوثي بذكاء نادر وثقافة مرمعة ، وجمع بين العلم والادب فكان الفارس المجلي ، وفي الثامن والعشرين من تشرين الاول ١٩٥٢ توفي في عمان ودفن في مقبرة باب الساعرة ، ببيت المقدس .

من آثاره العلمية : ترك المترجم له ثروة من المقالات القيمة والابحاث الرائعة ، ولو قدر لنتائج ان يجمع لجهاد في موسوعة كبرى من العلم والادب والتاريخ والاجتماع . وفي عام ١٩٤٢ خرج على اذاعة احاديث اسبوعية مائة من دار الازاعة الفلسطينية - بالقدس بعنوان ديار العرب والاسلام « بلغت ستة عشر حديثا . وتقديرا من المؤرخ البحاثة الاستاذ عجاج نوبهض ، مدير القسم العربي في دار الازاعة الفلسطينية نشر تلك النصوص الائمة في كتاب « حديث الازاعة » وهو يحتوي على المختار من الاحاديث

المداعة لعدد من العلماء والادباء في الاقطار العربية .

بمؤذن من ثوره : « في مكة انزل الاسلام هدى للناس ، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم ، اقرب الناس اليه ليعبدوا الله ، ولا يشركوا به احدا ، فلما انكر هؤلاء على النبي انكرهم دعوته الجديدة للحق ، واضطروه ان يرحل عن مكة معط راسه ومنزل عشيرته ، الى المدينة دار هجرته ومركز شيعته ، تبدل مظهر الدعوة الاسلامية . فبعد ان كانت دعوة روحية خلقية ، ادغمت بنظام اجتماعي وسياسي ، هو نواة الحكومة الاسلامية الاولى . وهما في هذا الحديث تتبع نمو هذا النظام السياسي الذي ولد يوم هاجر النبي وانصاره من مكة ، واستقبله اهل المدينة ، وآزروه وقبلوا دعوته وزعامته الدينية والدنيوية . وقد بقيت المدينة المنورة مركز النظام الجديد ومجتمع قوته ، زهاء اربعين سنة ، أي منذ انتقل اليها الرسول ، حتى استتب الامر لزعيم الشام معاوية بن ابي سفيان ، فنقل مركز الحركة الاسلامية الى دمشق .

خلال هذه العقود الاربعة من السنين ، استطاعت الجماعة الاسلامية الاولى ، ان تنجح من اعتداء قريش في المقدس الاول ، وان تنشر الاسلام بين قبائل حجازية قوية . وفي العقد الثاني الذي بدى بفتح مكة ، والذي ازداد فيه انتشار الاسلام ، فاختل الناس يدخلون في دين الله افواجا ، ثم توحيد كلمة الجزيرة العربية ، وتوطيد الامن فيها ، وسوق رجالها للفتوح . وانتهى عهد المدينة بالنزاع الداخلي ، الذي ابتدا بالثورة على عثمان ، وانتهى باستتباع الامر لهزيمة . وقد جاء وقت كان فيه مركز القوة الاسلامية ، موزعا بين المدينة ودمشق والكوفة ، ولكن المدينة بقيت عسلا سياسيا قويا في حضارة الاسلام ، حتى استتب الامر لبني امية ، وظهرت للوجود امبراطوريتهم العظيمة ، وماصتها دمشق .

كان اول عمل في سبيل الوحدة الاسلامية قام بها الرسول ، ان آخى بين انصاره ، وكانوا قبل مضي براع مستمر ، فالأوس والخزرج انصار النبي من قبائل اليمن ، وكانوا قد قدموا المدينة بعد الانهيار الاقتصادي السدي عقب ضعف ملوك حمير . ولكن القيليين تنافسا اشد النزاع بعد هجرتهما الى الحجاز . وكان في المدينة عدا الاوس والخزرج جمهور من اليهود ، ولهم مركز مهم في خيبر وهي مجاورة لاراض زراعية ، وكان اليهود في المدينة زراعا وتجارا . وكان اتساق الاوس والخزرج مما قوى مركزهم . فلما آخى الاسلام بين القيليين المذكورين ، ضعف مركز اليهود ، فهادنوا المسلمين حيناً ، وناصبهم العداء حيناً آخر ، حتى غلبوا على امرهم ، واخرجوا من المدينة والحجاز ، في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . بعد ان نجا النبي من ظلم قريش ، والفت بين الانصار ، سمى في اضعاف مركز اعدائه في مكة ، وكان اقرب سبيل

طالعوا كل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الحكمة

الاداب

العلوم

المعرفان

فهي تحمل اليكم النتائج الفكرية الرصينة والابحاث

القيمة بالسلام خيرة الكتاب والادباء

لذلك ، واشد تنفيضا لحياة قريش التجارية ، ان يمنع تجارتها بين الجنوب والشمال ، تلك التجارة التي كانت تمر ببحر المدينة . فاذا وقفت تجارة مكة ، فضي عليها لا محالة .

الى هذه الغاية انصرفت اكثر غزوات النبي واصعاله الحربية . وكان اهل قتال بينه وبين مشركي مكة في بدر الواقعة الى الجنوب الغربي من المدينة ، وعلى بعد عشرين ميلا منها ، وهي على طريق القوافل بين مكة والشام ، وكانت (بدر) النصر الاسلامي الاول ، وقد انتصر فيها المسلمون على اكثر من ثلاثة اضعافهم ، وكل من اشترك فيها عرف فيما بعد ، بانه من اهل بدر الذين تميزوا عن جميع المسلمين بغنائم الحرب . وقد حاولت قريش ان تحمي تجارتها وبشران حياتها ، فحشدت جموعا لقتل المدينة ، ونالت بعض النصر في (احد) في السنة التالية لفزوة (بدر) . ثم جمعت اكبر جيش كان في طاقاتها جمعه من رجالها ، ومن البدو المجاورين لها ، ومن الاحباش العاملين في تجارتها ، وساقط هذا الجيش الجرار ، بالنسبة الى الفئة الاسلامية اقلية العدد ، الى ابواب المدينة لتحصارها وتحصر المسلمين فيها . وعرفت هذه الجموع بالاحزاب ، وقد انضم اليها يهود المدينة ، مع انهم كانوا متهادنين مع المسلمين . وكان مما اخرج المسلمين من هذا المأزق العرج ، ما اشار به سلمان الفارسي على المسلمين ، بان يحرقوا خندقا حول المدينة ، فضاق البدو المحاصرون ذرا بهذا النوع الجديد من القتال الذي لم ياقوه ، ولم يطولوا الحصار ، بل انصرفوا بعد شهر ، ونجا الاسلام من الفناء وهو في مهده .

البوحي المثلث

عمان



حاته الراوي

ايليا ابو ماضي: لمحة عن حياته ونفسية

بقل حاتو طه الراوي

في قرية « المحيدنه » اللبنانية ولد ايليا ابو ماضي حلال سنة من السنين التالية ١٨٨٩ أو ١٨٩٠ أو ١٨٩١ أو ١٨٩٤ فالروايات متضاربة حول مولده ومن الصعب ترجيح رواية على رواية بالرغم من ان جميع الصحف والاذاعات التي نعتة ذكرت انه توفي عن ٦٤ عاماً اي انه من مواليد ١٨٩٤ (١) واستهل دراسته في مدرسة القرية . ومن سنة ١٩٠٢ (٢) اخذ يبيع السكاير نهادا في بعض الكتابيب المتواضعة . والنحو تارة على نفسه وطورا في بعض الكتابيب المتواضعة . واصدر في ارض الكنانة سنة ١٩١١ ديوانه الاول المسمى « ديوان ايليا ابو ماضي » الذي اهداه الى الشعب نصري بقوله : « اينها الامة الودودة . هذا ديواني الذي نظمته تحت سمائك وبين مغنايك ارقعه اليك لا طلبا للمثوبة ولا ابتغاء للشكر ولكن اظهارا لما كنته جوانحي من العطف عليك والتعلق بك » .

وهاجر ايليا ابو ماضي الى ولاية « سمناني » فسي الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩١٢ حيث اقام اربع سنوات يمارس التجارة مع شقيقه مراد . وانتقل ابو ماضي الى « نيويورك » سنة ١٩١٦ حيث اتبع له ان يطبع « ديوان ايليا ابو ماضي - الجزء الثاني » مصدرا بمقدمة بقلم صديقه جبران خليل جبران (٣) . ومقدمة جبران لهذا

الديوان اما هي مقدمة تقيظ وتعريف لا مقدمة عرص وتحليل ونقد صحيح فقد جاءت مشحونة بالاسلوب الشعري وقد تحدث فيها جبران عن الشعر والشاعر بصورة عامة وختمها بثلاثة مسطور تحدث فيها عن شاعرية ابي ماضي بقوله : « وايليا ابو ماضي شاعر وفي ديوانه هذا سلاسل بين المنظور وغير المنظور وجبال تربط مظاهر الجبال بخفاياها وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي ان لم ترشقها نضل ظمأنا حتى نمل الالهة البشر فنفرهم ثائبسه بالطوفان » .

ولكن هذه المقدمة تدل على المكانة المرموقة التي تبوأها ايليا في قلب جبران الذي كان ينزع الحركة التجديدية في المهجر آنذاك ...

ولم يكن ابو ماضي عندما اصدر هذا الديوان قد نحر من التحولات الطائفية المربضة البغيضة فقد كان ينتصر للغربيين في المعارك التي دارت رحاها بينهم وبين الانراك بدافع طائفي بحث . وقد علق « نظير زيتون » على هذه النزعة الطائفية البغيضة التي كان يجاهر بها ابو ماضي تطبيقا وفيما في بحثه الطويل « لمحات عن ايليا ابي ماضي » المنشور في العدد الخاص عن ابي ماضي من مجلة « الرسالة » القلبية الصادر في ١٥ شباط ١٩٥٨ . وحسبي ان اقتطف من تعليقه السطور التالية :

« اما نحن فما لنا الا ان نحزن ونأسف على جواد كريم كبا نكروا ونهينى نكرا وانطلق شعرا . اتقول انه كان يعبر وقتئذ عن احساس يئسه ومعجمته اي المغربين السوريين واللبنانيين في الولايات المتحدة ؟ وانه كان يترجم عن آرائهم وشعورهم » والحقيقة ان جالينا في الولايات المتحدة جمعت بشكل غريب بين التناقضات وقست على نفسها اشد القسوة في تلك التعميمات الطائفية التي قادتها بعض الصحف وسمرت نيرانها بين الموارنة والارثوذكسين وبين المسيحية والاسلام طورا ... »

ولما تشكلت جمعية « الرابطة القلمية » في نيويورك سنة ١٩٢٠ برئاسة جبران خليل جبران انتخب ايليا ابو ماضي عضوا فيها (٤) . وظل ابو ماضي يحور في جريدة نسيه نجيب دياب « مرآة القرب » حتى سنة ١٩٢٨ حيث تركها واصدر في نيسان سنة ١٩٢٩ مجلة « الصمير » التي كان يصدرها مرتين في كل شهر . وفي سنة ١٩٣٦ حولها الى جريدة يومية . وقد كان يكتب اكثر افتتاحياتها ويعالج فيها المشكلات الاجتماعية والسياسية (٥) .

وفي اواخر سنة ١٩٤٨ مثل ابو ماضي مع حبيب مسعود صحافة المهجر في مؤتمر اليونسكو الذي انعقد في لبنان ققضى في وطنه شهرا كان فيه موضع حفاوة الاوساط الادبية والرسمية . وقد منحته الحكومة اللبنانية آنذاك وسامي الاستحقاق والارز واقامت له بتاريخ ٦ شباط ١٩٤٩ حفلة كبرى في دمشق برعاية شكري القوتلي

رئيس جمهورية سورية في ذلك العهد الذي علق على صدر الشاعر وسام الاستحقاق الممتاز وأنتدب أبو ماضي في هذا الحفل بإتيته الشهيرة « تحية دمشق » وظل أبو ماضي يواصل إصدار جريدته (السمير) إلى أن توفاه الله في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ بعد أن ابتلى بمرض القلب . ويجدر بي ألا أنسى التجني الذي إقامه أبو ماضي حيا إلى التجني الذي إقامه ميتا . ومن الأنصاف أن أترك له الرد على بعض التجني الذي إقامه حال حياته وإن أرد عنه التجني الذي إقامه بعد أن ذهب إلى رحمة ربه . . . فقد طبع ديوانه (أنجادول) أكثر من طبعة في بعض الأقطار العربية من غير استئذانه ومن غير أن يرسل إليه الناشر والمكافأة المالية الواجبة . . . ولم ينف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى أسلوب آخر من التجني فقد غنى المغنسي محمد عبد الوهاب بعض مقاطع من ملحمة أبي ماضي « الطلاس » من غير أن يرسل له المكافأة المالية الواجبة بها مثل هذه الأمور . . . فكان من الطبيعي أن يتغلب أبو ماضي ويثور وينشر مقالا في جريدته (السمير) تحسنت عنوان (تصوص الأدب) (٦) ومما جاء فيه قوله :

« قد يكون العقار الموروث أو المكسب نفيسا وثيرنا .
وقد يكون المال من ذهب وقضة هو المرغوب في حيازته .
ولكن الأدب الذي هو نتاج الروح انفس واثمن من العقار والمال .

إنما الناس مع اعترافهم بهذه الحقيقة « بغير أن يفارقوا الأدب كما يعاقبون سارق المال والعقار وإلهم » بغير أن ذلك لأن السواد الأعظم ينكح مالا أو عقارا فهو يعاقب سارقتها لئلا تمتد يده إلى ماله وعقاره . ويتهاون في مقابلة نص الأدب لأن الأدب ثروة الناس الذين ليس لأكثرهم مال وعقار . ولا خوف من هؤلاء اللصوص على بيت ولا على أرض ولا على ذهب مكنون . وقد ابتلى الله صاحب هذه الجريدة بلصوص أدب وقاح في العراق ولبنان فأغاروا على ديوانه الجداول

(١) راجع كتاب « إيليا أبو ماضي » لمسي الناعوري منشورات عويدات ص ١٢ - ١٤ (٢) ذكر محمد قريه في جريدة الحياة ذلك من إبراهيم بلديات أنه هاجر إلى الكويت سنة ١٩٥١ وذكر جورج صيدح في ص ٢٥٣ ط ٢ من كتابه « أدباء وأدبيات في المهاجر الأميركية » أنه هاجر سنة ١٩٠٢ (٣) ذكر زهير ميرزا في حاشيته ص ٩٢ من كتاب « إيليا أبو ماضي » شاعر المهجر الكبير شعر ودراسة نقدية على هذه التلمذة أنها كتبت لديوان « تفكار اللاسي » وهذا خطأ محض . . . (٤) قال ميخائيل نعيمة في مقاله « أبو ماضي في حقيقته » المنشور في مدد (الرسالة) اللبنانية الخاص من أبي ماضي بصدد كلامه عن الجزء الثاني من ديوان إيليا أبي ماضي والتي الرابطة القلمية في شعره الذي تلمذ بعد صدور هذا الديوان : « هذا صعب أن يكون أول ما أظن به على العالم العربي (ديوانا) إذا شهد لصاحبه بشيء فيلغظه شعرة لاشك فيها ويطول النفس ويتسلسل للترجمة بحيث يستطيع قارئه أن يتبين بأن صاحبه مؤهل لأن يصيح شاعرا يوما ما . أما الجهاد وما فوقه والقي والتم الكلى الشعري فالديوان يكاد يكون بريئا منها جميعا » ومن أين كان إيليا أن يرتج

وطيعة بدون استئذانه وعلى غير علم منه . . . » وجاءنا روكس بن زائد العزيزي عام ١٩٥٦ ببعدة جديدة في كتابه « فرسة أبي ماضي » . . . وهي أن أبا ماضي لم يتورع من سرقة قصيدته المشهورة « الطين » من قصيدة أو قصيدة شاعر بدوي أردني اسمه « علي الرميثي الخريصي الفدعاني المزني » . . . ولا أريد أن أتطرق إلى الدوافع التي دفعتني إلى هذا الاكتشاف الخطير ومن شأن أن يرجع إلى الدوافع التي دفعتني إلى ذلك والإساليب التي اتبعتها في هذا المجال لنرجع إلى بحث « حكاية الطين وعلي الرميثي » في كتاب « إيليا أبو ماضي (٧) لمسي الناعوري فقد برهن الناعوري بشكل قاطع لا يقبل الاختذ والرد على أن أبا ماضي كان « نسخة برئة لاهواء شخصية طارئة » وأوضح كيف أن أبا ماضي كان حتى عام ١٩٥١ « من أمثل شعراء العربية في نظر صاحب المقال وكانت قصيدة الطين نفسها من القصائد التي امتلأت نفسه إعجابا بها وسمو روحه الإنسانية والتي كان يقدحها لطلاب في دروس المحفوظات منسوبة إلى أبي ماضي - لا إلى سواه - . . .

فلا حاجة إلى تخفيض هذه البوالم والإهواء . . . أو التعليق عليها . . . ومن شأن أن يرجع إليها مفصلة متسلسلة تتسلا منطقيا فليرجع إليها في كتاب الناعوري . . . وسيجد في ص ١٤١ من هذا الكتاب شهادة لميخائيل نعيمة - الذي لم يعرف عنه أنه أنصف أبا ماضي يوما مس - « ثبت أن قصيدة « الطين » هي لأبي ماضي لا إلى سواه . . . وسيجد القارئ أيضا في بحث الناعوري عن « حكاية الطين وعلي الرميثي » عرضا وأقبا للتجني الذي إقامه أبو ماضي من أحمد زكي أبو شادي وعبد المسيح حداد . . . وفي عام ١٩٦٠ أصدر ميخائيل نعيمة المرحلة الثانية من كتابه « سبعون » الذي تحدث في فصل من فصوله عن وفاته في « الرابطة القلمية » فقال عن إيليا أبي ماضي (٨) : « من الحديث - لبنان - قصير زهيد الجثة والشعر .

في ذلك العن غير ما أبتج وللضل معالنج وهو لا يملك من اللغات غير العربية ولا يطلع على أي أدب اجنبي من قريب أو بعيد ؟ ذلك أسئلة لا تحلها احتمالات « الفهرات » (الرابطة القلمية) . وقد تمثلت في بعضهم شتى الثقافات . فما علم أن الحلات تظهر في شعره اتجاهات جديدة والفان فيسر التي استأثرت بديوانه الأول . . . وقد علق على هذا القول « مراد أبو ماضي » شقيق إيليا أبو ماضي . في العدد ٤١٠٩ من جريدة « الفهرات » « البيرونية الصادر بتاريخ ١٧ آذار ١٩٥٨ حيث قال : « ترى هل كانت الرابطة القلمية ممعلا لتخرج الكتاب والشعراء أو لصنع التوابخ ؟ وكمن من الشعراء « اندهم » إلى العالم العربي . . . أنها بالعكس كانت تستهزئ بآداب العرب وتصر الكلد للرياحي لأنه كان واقفيا ونحاول الحط من منزلته . ونعيمة خاصة كان فؤاده يتلهب حسدا من إيليا أبو ماضي لأنه بنى شهرته قبل أن نلصق به لصنا فتصوية الرابطة الاسمية . وما كان يجري على أطلان حسده فلا يفرقه قلم إيليا نزعيا فاعلته بعد موته . وفاتا الله من القرو . . .

أبرز ما في وجهه الجبين والعينان - في قيافته بساطة قروية تعترف إلى الذوق - وفي صوته جفاف لا ترتطبه عدوية - قوي المارضة - فياض القريحة - طموح لجوج في بلوغ مطلقه - سريع الاقتباس - واسع الحيلة في كسب رزقه وفي الوصول إلى أهدافه - متقلب في صداقته وعداونه حسبما تعلية عليه مصلحة - فيه شيء من طبيعة العمامة وشيء من طبيعة القرب - صادق الريحاني زماناً ثم انقلب عليه فانهم بالتجسس للاكتسب .

ونقم على جبران فكتب عنه مرة في « مرآة الغرب » في صدد الكلام عن مرضه وقال « العقل السليم في الجسم السليم » . وكان من قبلها قد كلف جبران كتابة المقدمة للجزء الثاني من ديوانه . ودونما أي سبب أعرفه كتب مرة مقالاً بهجوني فيه أذعن الهجاء . ثم لم يلبث بعدها أن كلفني كتابة المقدمة لديوانه « الجداول » فكتبتها . وبقيت العلاقات بيننا على أصفائها حتى آخر حياته . واشتبك قبل وفاته بقليل في مهارة صحيفة مع عبد المسيح بلفت منتهى البشاعة والبذاءة من الجانبين .

تزوج إيليا إحدى بنات صاحب « مرآة الغرب » . وورق منها أولاداً . اشتغل في أول حياته المجربة بالتجارة مع شقيق له . ثم في تحرير « مرآة الغرب » و « إلفانة » ثم أسس مجلة شهرية متواضعة باسم « المصور » . وبعد سنوات حولها جريدة يومية . فكانت النشأة في انتعاشه من ضيق العيش إلى شيء من البهجة في آخر حياته . ولم يكتف ميخائيل نعيمة بهذا التعريف الذي لا يخلو من الحقد والتجريح وإنما أهتم زيمه إيليا في مصر من حديثه عن ثقافة رفاته في الرابطة القلمية بقوله (٩) (٠٠) وهذا التليل الذي كانوا يعرفونه ساعد بعضهم - مثل أبو ماضي - على اقتباس بعض الموضوعات الشعرية من قصائد كانت تشر في بعض الصحف اليومية) .

وإذا صحت اتهامات ميخائيل نعيمة لإبي ماضي - والعياذ بالله - فلا يصح - عندئذ أن ننشر إبي ماضي إلا مع الطبقة الرابعة من الشعراء ومع الطبقة الأولى من

(٥) ذكر عيسى النابودي في كتابه « إيليا أبو ماضي » منشورات عويدات سنة ١٩٥٨ في ص (١٣) ما يلي من إحدى الفتايات إبي ماضي الاجتماعية : « أذكر أنه مر مرة افتتاحية الجريمة لمعالجة قضية اجتماعية قبل أن يكثر ثقلها مجتمعنا الشرقي فقد قرأنا إعلاناً في إحدى الصحف اللبنانية يبحث فيه صاحبه عن « خاصة لبيته لا يزيد عمرها على » أسنة » . أصف الألب بنسبه - فسكية في افتتاحية جريدته ثورة هيلة على المجتمع الذي يسمح لطفلة في مثل هذا السن القزمة بأن تغادر مقاعد الدراسة لكي تعمل في البيوت لقاء أجر يمتحنها الطعام والكساء . وكان راحاً في معالجه لهذا الموضوع قوياً في دفاعه عنه » . (٦) نشرت قصة مجلة « الأديب » البيروتية في عدد (٦٢) ١٩٢٧ مقالاً عن جريدة « السمير » .

الدجالين المنعودين ... ولو كان نعيمه) سليم القصص في عرض هذه النقائص العديدة عن صديقه ورميله لاكتفى بقوله عن (قيافة) ... صديقه (في قيافته بساطة قروية) من غير أن يذكر (تعتق إلى الذوق) فالتفاصي من ذكر هذا الأمر مما يوجه (الذوق) السليم ... وأما قوله في وصف صوت أبي ماضي (في صوته جفاف لا ترتطبه عدوية) فيشير السؤال الثاني : هل كان أبو ماضي وحده دون أخوانه في الرابطة القلمية ذا صوت جاف لا عدوية فيه ؟ أو لفرضا أن هذه الملاحظة قد انطبقت على صوت نسيب عريضة - الصديق المحيم لميخائيل - فهل كان قلمه بطاوعه على ذكر هذه (العدوية) - إذا صح التعبير - في صوت نسيب في معرض تعريفه له ؟ .. وأما أن يكون أبو ماضي (الجوج) في بلوغ مطلقه) فهذه مزلة لاسبة ... ونعصم اللجاجة في سبيل بلوغ المطامع .. وما أسمى مطامع شاعر :

نشر الطوبى على دروب حياته وسرى هوى في الطيب والآداء
واظل من لب البعيل سمحة وشجاعة في السلم والهجاء
ومضى إلى القلوم صدار رحمة وهوى على القلام سوط بلاه (١٠)

وأما عن قوله عنه بأنه كان (سريع الاقتباس) فهذا اتهام لو كان معزاً بالدليل لسلحنا به مرفعين ذاهلين - ونعيمة لا يجهل - وهو من دارسي القانون - أن الاتهام بلا دليل حجة على القضي على القضي عليه ... وإذا كان إيليا أبو ماضي « واسع الحيلة في كسب رزقه » كما يقول نعيمة « منة فمن من اعتاد « الرابطة القلمية » كان (ضعيف) الحيلة في كسب رزقه في تلك الديار الغربية النائية ؟ ولا أدري ما المقصود بالحيلة في قاموس نعيمة ... فإذا كان يقصد - والأقوال كالأعمال بالنات - أن إبي ماضي لا يتورع عن اتباع الوسائل غير اللائمة لكسب رزقه فهو على غلال عظيم ... وحسبي أن استشهد في هذا المجال بقول رفيق إيليا في العمل توفيق فخر الذي وصف أعصاب إبي ماضي الجسمية في كسب رزقه الحلال بقوله (١١) :

« عندما ترك رئاسة تحرير جريدة « مرآة الغرب » النيويوركية أنشأ مجلة « السمير » قراحت رواجاً حسناً

(٧) منشورات عويدات ص ١٢٢ - ١٢٤ (٨) ص ١٧٩ .
(٩) سمير - الرحلة الثانية ص ١٨١ . (١٠) من القصيدة إبي ماضي عن نفسه في حقله اللبيل ألفي لجريدة السمير راجع ديوان « نسر ونسراب » ص ٤١ - ٤٦ . (١١) إيليا أبو ماضي كما عرفته - مجلة « الأديب » البيروتية - فبراير ١٩٦٠ . (١٢) مجلة « الأديب » ٩ يناير ١٩٦٠ . (١٣) ديوان القبر وراقب ط دار العلم للطباعة ص ١٧٤ - ١٧٧ (١٤) قال : أبو ماضي في العدد ١٨ سنة ١٩٢٥ من السمير « الكاتب مزروع الطول بالأنواء الحادة بيد طلاء زدت ليجران الورود حال حياته » . وقال في العدد ١٩ من السنة نفسها (إذا كان يصاب من صلب حيا فما قولك بمن ينش من قبره ويبرز عنه الكائن ومثله على صليب من شوك ...)

إذا أرسل لأديب بقل اشتراكه من تلقاء نفسه .

رافقتة سنين عديدة غير أنني في السنوات الأخيرة من مرافقتي له لم أقض بأعمل سة واحدة بكاملها فاحيايت كنت أعمل في إحدى السنتين سناعت معينة أسبوعيا وأحيانا أشهرا معينة وكثيرا ما اختلفت أياها وغادرت الإدارة دون بتوسط بيننا المتقدم بالكهنة مكاريوس التي . على أن اختلفا أخيرا حدث بيني وبين أبو ماضي لم يتصل سمعه بالكاهن مكاريوس لأنه كان مريضا وفي خطر الموت . وقد توفي بعد يومين من ذلك الحين فوقع علي الاختيار لترأس حفلة تباينه وكان في عداد المؤيدين إيليا أبو ماضي فاجتمعنا لترتيب أمور الحفلة وتصافت قلوبنا فكان ذلك اكاهن الصالح واسطة سلام بيننا حيا وميتا .

قصدت في أحد الأعيام القيام برحلة إلى الجمهورية الدومنيكية فبحثته مودعا فقال لي : أني كنت على أهبة أن ادعوك لتناول طعام الغداء معي . فالتدبنا مطعما قريبا وفي أثناء وجودنا حول مائدة الطعام سحب من جيبه غلافنا مخنوما ودفعه إلي قائلا : أسألك أن لا تفضة إلا بفسد عودك إلى المنزل . فعملت بموجب رغبته . وعندما فضيت الغلاف وجدته يحوي على حوالة بمائة دولار وبطاقة كتب عليها الآيات التالية :

وافكك الهنداء بإ رفيق وعهدت بالتوفيق بما توفيق
يا قاهر الأخلاقه كشمسه متقلبة كقلبيه وقيمسك
الاستقام مقبلك لا يهولك وده في زمين قلب به ابديسك
إيليا

فأمر بي جدا هذا الاخلاص العظيم وخاطبته شاكررا ومتأسلا لماذا لم يفضي أفتح الغلاف بحضوره . فاجاب : لاني أخشى أنك كنت ترفض الحوالة بكل تأكيد . ولم أزل احتفظ بتلك البطاقة التاريخية الثمينة » .

وأما أنه صادق الريحاني زمانا ثم انقلب عليه فانهمه بالتجسس الانكليزي فليس في هذا الأمر غرابة فالجلاء كثير ما يحصل بين الأصدقاء فيلوث الظنون وينمش الحقد ويستفر الضغينة . إلا أن أبا ماضي وإن ساءت ظنونه بالريحاني في فترة ما لأسباب نهجها كل الجهل فانه لم يسمح للحقد أن يستقر في قلبه وما كاد يسمع نبأ وفاة صديقه أمين الريحاني حتى رثاه بموشحه الرقيق « مازال في الأرض حيا » (١٣) ونفى في هذا الموضع شكه باخلاص الريحاني في مقيده السياسية حيث قال :

لم يفر جبينه في التسراب لم يوارب في موقف لم يعاب
لم يبع فوهه من الإفساب لم يمتد جبينه في التسراب
لم يمش خائلا ولا أميا

وأما أنه قال من جبران ذات مرة في جريدة « امرأة الغرب » في صدر الكلام من عرض العقل السليم فسي الجسم السليم) رغم كتابة جبران لمقدمة الجزء الثاني من ديوان أبي ماضي فهذا يدل على قوة شخصية إيليا بحيث

الأن نمسه الكبيرة كانت تطمح إلى إصدار جريدة يومية فاقدم على هذا العمل الخطير بتحويل المجلة إلى جريدة يومية في زمن عصيب ورياس مال زهيد جدا فواصل الشهر بالليل عاملا مجددا فأتت صناعة التنضيد والطباعة وكان بوسع أن يقوم مقام أي عامل في الجريدة حينما ينظر أحد العمال إلى التغيب وقتا . وما زال يسير يسيره من ازدهار إلى ازدهار حتى بلغ به مدارج الفلاح وفاز ماقتناء بناية خاصة للجريدة جهزها بسائر أدوات الطباعة

وأما قول نعيمة عن أبي ماضي أنه (مقلب في صدقاته وعداواته حسبما تمليه عليه مصلحته) فيعني أن إيليا ماضي لا يعرف غير صداقة المصلحة وأنه إنسان إنانسي (نفسي) . ولذا لجأ إلى التأويل وقد افغنا نعيمة عنه بقوله مباشرة بعهده الجملة : (فيه شيء من طبيعة الحمامة وشيء من طبيعة العقرب) . ورغم أننا لا ندري كيف تمتزج الطبيعة المتناهية - طبيعة الحمامة - مع الضرر المتناهي - طبيعة العقرب - في إنسان ما فإن نعيمة لم يصور لنا إلا طبيعة العقرب في أبي ماضي مما يدل على أنه يعتمد تهويل الضعف البشري الذي قد يكون إيليا من الخلقين ببغضه وأن نفسية أبي ماضي كما يصورها قلم محاسب جريده ورفيقه الأمين فخر تناقض هذه النفس به المتفسخة التي يصفها لنا قلم ميخائيل نعيمة فقد قال توفيق نخر يصف نفسية أبي ماضي (١٤) ما أليك نصه

« ليس من شاهد ادل على نفسيته وأخلاقه من تصديقه التي عنوانها « أنا » فيها البيان الصريح عما نال عليه من المحبة والإخلاص والوفاء لصدقائه وهذه بعض أبياتها :

هر وملحسب كل هر طبعي ما كنت بالفاوى ولا التصيب
اني لالتسبب للكرم ينوشه من دونه والوم من لم يقب
انا لا تفرني الطيالى والطيلى كم في الطيالى من سليم اجرب
اني اذا السزل البلاد بصاحبي دلغمت منه مناجلى وبغضى
وشدنت ساعده الضعيف يساعدي وسترنت منكبه الصبري بمنكبي
فالا داني لو القباوة دونه فكما يرى في الماء ظل الكوكب
قد يقول البعض ان هذه القصيدة تحوى غلوا فاكشا
كما هي العادة المتبعة عند الكثيرين من الشعراء فلاجل نقض هذا الادعاء أقدم دليلين من أدلة عديدة :

عندما اشتدت الضائقة المالية في الولايات المتحدة تلكا عدد غير من مشتركي جريدة السمر من دفع بدلات اشتراكاتهم بضع سنوات وقد نصحه كثيرون كي يعجب الجريدة منهم فلم يفعل وكان جوابه الوحيد أنهم كانوا أنصار الجريدة الإرقية في زمن الرخاء فلا أنخل منهم في زمن الشدة . فلما نشبت الحرب المالية الثانية ونشطت حركة الاشلال العمومية قدر له اولئك المشتركون تلك العاطفة الشريفة وأقبلوا على دفع كل ما كان يطلب له منهم فتدق عليه المال بفرارة . ومن مزياه أنه كان لا يطلب أدبيا ببدل اشتراكه ولكنه لا يحجم عن قبول المنح

هذيان حزين

دروب الفسوء ...
يا ضوئي .. وبأ رفلات اجفاني
ابنسى امسح الحبرا .. ؟
بلا جدوى
ابنسى ظبي الحزون يحفر في دمي فبرا ؟
يسامر صوته السهرا
وينتظر
لمل زهور ماضيه الذي اندلعا
سبعت مرة اخرى
وتعلمتها بسائتي
ازغررد اكثر انشر
على ظبي

لقد سئمت دوار الدم اوردني
دروب الفسوء ما عدنا نطق الاله .. والفرا
دعيني المس الجدران اجمع حبر اورداني
اسامرها .. اذكرها بخطوة ضوئي الاولى
دعيني اترك الابواب .. اصرخ اني بال
والا فليصب الحزن سما فوق احدالي
لايكسي مرة اخرى .. وانتحب
فديتك .. مهجتي .. ظبي .. حروفي كل ما اعلق
فديتك ابها الزورق

صاتي حاسلا ضوئي
صاتي قبل ان ارق
ياكلاني .. فاندثر

بضداد فيصل السعد

سايكي ..
كلما نمت ابادي الامس اجعني
واركل حروفي المتسوخ .. اركله ،
اذا طرقت حروف الامس اذاني
لقد سئمت دوار الدم اوردني
واغتيتي ...
لحن اليوم للماضى ،
لخطوة ضوئي الاولى
بحن لها .. وتذكرها .. وتبكيها ،
فايكسي مرة اخرى .. وانتحب

فلال الامس لم ترحل
فلالك يا بسائتي
بقلبي .. كلها قلت .. ولم ترحل
وذني لم يعد مهمل
والحاني التي زومت بقلبك يوم ان كنا
نعود اليوم .. توفطني بسلامها
فالتهمها .. اغمدتها ..
ونظو في شراييني

لحوسى .. كيف اسامها ..
وانسأك .. ؟

سايكي كلما نمت اشتياق الروح .. فركك
والقسم صر اشواكي
واصنع قلبى الفسنى ..
ساصصه
ليبكي مرة اخرى .. وينتحب

جبران» (١٤) واخيرا فليس من صالح نعمة ان يقسول:
(وبقيت العلاقات بيننا على اسفها حتى آخر حياته) لان
ذلك يعني - والحالة هذه - ان نعمة كان يتظاهر بالسود
وانصافا والمحبة ويكتم في قلبه هذا انحد الذي املنه بعد
وفاة ابي ماضي ... سامح الله نعيمه وسامح كل حاقه
على شاعر انساني نبيل كابي ماضي ... على انني لا ابرىء
ابا ماضي من بعض العيوب والنقصات التنسي
تسجم مع منطق الضعف البشري ... ولكن يمر علي وعلى
كل منصف ان ارى ويرى هذه العيوب تبيض وتفرخ في
عقول كبيرة ... واذا بها - وهي العيوب المحدودة - تتكاثر
ويزداد خطرها وفقا للاهواء والاغراض الشخصية ...

حاتر طه الراوي

بضداد

انه لم يكن تابها لهذا او لذلك متحول المنة عنده دون مايريد
ان يصرح به قلته الصر الجبار . ولا خير في مقدمة تكون
كحجر الرخى في منق المؤلف ...

واما ان ابا ماضي كتب يوما مقالا يهجو فيه ميخائيل
نعيمه من غير سبب فمسألة فيها نظر ... اذ لا يمكن ان
يقدم على مثل هذا التصرف الا المجنون ولم يتكرم نعيمه
عندما وزع الماهات على رفيقه بسخاء بعامة الجنون عليه
فلا يعقل والحالة هذه انه هاجم نعمة من غير سبب ...
ولا يعقل ان ميخائيل نعيمة عندما كتب هذا التعريف الزاخر
بالتجريح عن ابي ماضي بعد وفاته لم يكن حاقدا على
ابي ماضي بسبب ما كتبه ابو ماضي في «السمير» من
تدريسه ببعض ماخذ كتاب نعيمة عن «جبران خليل

وتحرك عينيه المطفائين في كل الاتجاهات .. وقالت له امه يوما ويدها تمت بشعر طفلها الصغير المود الخدين :

اصبحت كبيرا يا حامد . عليك ان تدبر معاشك من الآن فصاعدا . قال وعيناه ترتجفان :

وماذا ساعمل . اجاب زوج امه وهو يغمره برأس حذائه : الشوارع مليئة بالمسولين .. وليس كثيرا عليك ان تكسبون متسولا .

وايدته الام بحزم :

ستأتيين كل يوم بلبنتين .. وليكن معلوما لديك انك لن تجد في هذا البيت ماوى لك ان آيت ليلة وبذلك فارغة ..

ودارت الايام بحامد والتسول حرفته . كان يقتل الايدي ويلدرف الدموع كي تتجمع لديه الليرتان ، ليرتان فقط .. لا يبقي اكثر من ذلك .

وذات ليلة قائمة الاديم . لسم تجد دموعه . ولم يحصل على الليرتين . وانتصف الليله وما ظفر بشيء . وعكس الصباح اهرم خياله الكئيب قادما بترنج . ولسم يرتطم رذاذ الماء بالجدار كالعادة ، لانه كان صقيعا يلعب في الحلكة . وكانت ريح شباط تمصف فتحرك الصباح القديم وشعر حامد الاشم ، وتلسع صدره وامالي ساقيه . وقف امام الباب السميك يلمث وقعه بيده الزمومة فاجابه بعد مدة صوت امه الممدود :

انت يا حامد ؟!

الا ان البرد كان قد ربط لسانه فلم يجب الا بضمغة واهنة . انساه الصوت الممدود ثانية يلسع قلبه :

— امعلك الليرتان ؟!

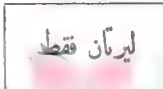
— لا يا امه ..

اجاب بعويل وهو يلتقم بالباب ، يحتمي من الريح اثني اقتلعت جزءا من اسناله . قالت وصوتها

بعربه ويضع مثلها تحت راسه ، ثم يجول بعينه في ظلام السقف فلا يبصر شيئا لانه .. امعى .

كان في الخامسة عندما مات ابوهم منذ اربع سنوات . وكان حامد كمل تركه الاب الطبيب للام الترسة . واول ما لمس الام واقعه كان ذلك على يد امه . لم يفسر عقله الصغير سبب ذلك ؟! اجريمته هو ان كان قد خالف طبيعة الناس واستقل عنهم يعينين لا تبصران ؟

كان يشعر بانها لا تحبه ، وانها كذلك غير راضية على انه ولدها .. وكم كلفه ذلك اللتب الوانا من الشقاء ، فكان ما يخفف اساه بعض



بقلم محمد نديم

النسيء ابو الذي ما كان يبخل عليه بكثير من .. الشفقة .

ولكن الاب مات . وسرعان ما تزوجت الام رجلا اخر اخذ يشاركها مهمتها الرئيسية .. التنكيل بحامد وهذه المرة ايضا لم يجد لتللك العاملة سببا .. وتعودها مع الايام . ثم لم يعد يتبقى صفعات ابية الجديد بيديه . يكفي برفيف جفونه واحناه راسه بذلة واستكانة .. كان يدفع ذله ثمنا لبقايا طعام اولاد امه ، وتلك الرقعة من المستودع التي ينام فيها .

وشاق الجميع ذرعا بذلك الامعى الذي لا عمل له غير الجلوس القرفضاء



عندما تهمس الساعة لليل انه بلغ المنتصف . هناك . في رأس الزقاق الطويل ، الذي جعله الصباح الهرم اشبه باخطبوط يمد ارجله السبي جهات غير متناسقة ، كان يبدو هيكل انسان يسير متداعيا حتى ليبدو وانه سيتع بعد كل خطوة بخطوها . ينوص الشبح في المياه فيصدم رذاذها الجدار الذي تلمسه حينما وتصدمه يده الممدودتان حينما اخر وقد انفجرت اصابع قدميه الماريتين المتشققتين ، فكانها تحاول الفرار من برودة المياه وقطع الزجاج المسنة . ويبلغ اخر الزقاق فيقطع ساحة صغيرة ، ويقف امام باب سميك كالح يطره بيديه المفوطتين نجديه بعد مدة طويلة صوت مملوط ناعم به قسوة تلسع القلب :

— انت يا حامد ؟!

— اجل يا امى .. يكاد البسرد يجمدني .

— امعلك الليرتان ؟!

فيجب وهو يبخش يسده القطنتين القصيتين وضعة غريبة تنبث من فمه : اجل يا امى . اكاد اموت جوعا ويردا .

ولفتح له الباب امرأة متشحة بالسواد . وجهها شاحب معروق . وتمد له كفها الخشنة ليضع فيها الليرتين ، فتسقطهما في صدرها وتتركه واقفا في المر عائدة الى المكان الذي خرجت منه دون كلمة ما ، ويسمع صوت انطياق الباب خلفها فيتحرك في المر ، تلمس جداره الرطب الى غرفة اكثر دفئا . ويرتمي على بساط غلي جزما صغيرا من المكان . ويحرك يديه على البساط فتزطم احدهما بآاء طعام او بقايا طعام وفئات من الخبز . يعلم كل هذا ويكاد يلسقه بجسده الناحسل .

وتبلفه بهده ، ثم يدفع بالانساء بعيدا ، وبعد ان يتجشأ ملء فمه وينغمم بكلام يظن معه انه يطرده تلك الاشباح الحبيطة به كما يصورها خياله . يتدثر باسمال سمكة

الموت وقباب الشمس

الى شقيقتي .. وهي تأخذ دريها نحو الله

■

من دعنا الم .. وبني .. ضيفك الاتي
اصفى من الطم ، في اهداب ريشاتي
غير الصلاة .. واطيب المنيات
تفزو بها الريح ، احضان المناهات
قدت ملامحه الخرساء .. من ذاتي

خيظ ، من العفة الشقراء .. قافلة
من دعة الطفل اتقى من طفولته
علوية الروح .. ما طافت بمقلتها
ولون مقبرة .. عتاء .. معلولة
شالت اليك .. رماد النوح في كفر

نواحة الليل .. نهماء الجنازات
ترش بالدمع والاكنان .. ابياسني
تشدد للموت .. امالي الحزينات
نخوض في الشمس ، بكاء الشكايات
تمد للدرج ، احداقا جريحات

في خاطري .. تطوى الف مقبرة
تصب شهقتها التكللى على كيدي
احسها صرخة تقتلت من شفتي
وذلك اختي اراها .. عينها .. فيها
تومسي الى الله .. كفاها .. عباها

بقية الجرح .. في ارض التماسات
ادمى تساؤلها المنجوع .. ماساني
معريد الجوع ، ميخوخ النداءات
ووجهك الطيف ثاقب في جراحتي
في خيمة الله .. في عيني الدماء

اختاه .. طفلك الخجل .. صغيرتها
تسائل الله .. والدرج الليف ، وقد
في راحتها سؤال ، لاهث .. ابدا
اختاه .. نضك في صولي وفافيتي
اراك ، خلف قباب الشمس غافية

غدي ! جراح الرؤى .. رجع المناحات
وان نموت ... بلا قبر ومرثاة

اختساه .. اي غد ، دام ، يطبني ؟
عرسان للموت .. ان نشقى بمولانا

علي جعفر العلاق

بغداد

ينزلق يبطء حتى تكوم جسده على
صبة الباب ..

عندما نرغب الشمس نايه .. في
صباح اليوم التالي وغمرت الرقبات
السكان .. كان اول من دثره
شعاعها .. جثة صغير اعمسى ؛
تكومت بقم مزوم ويد مفتوحة كأنها
تطلب من الناس .. احسانا ..

القاسميلي - سورية محمد نديم

وصفعتها الريح فضاع صوابه
وخنقه العويل ؛

امي اتى الموت .. اقبل ايديكم
افتحوا لي .
واخذ يضرب الباب بيديه حتى
وهنتا ، احس بشيء يدب في جسده
.. شيء ثقيل . واشتعل راسه .
وبذلك الشيء الذي يدب فيه اتقل
من ان يحتمل ، وفتر رويدا رويدا .
والتصق وجهه بالباب ثم اخمد

يتعد ؛
اذن اوقد حيث انت ..
لم يصدق انها ذهبت الا عتسما
سمع صوت انطباق باب فرقة
نومها . لم يصدق انها قاسية الى
هذه الدرجة .. وعاد يطرق الباب
من جديد ولكن لم يسمعه احد .
سوى الريح .. صاح وهو يحس كان
اطرافه تشتعل ؛
امي افتحي لي .

البعد الواحد عن الآخر . وعلة ذلك ، أن سماء الجنوب (جنوب الولايات المتحدة) وأرضها منذ الحرب الأهلية ومقتل إبراهيم لنكلن وحتى الآن ، ليسا بالسماء الافتيادية ولا بالأرض المعروفة .

ومن الأمور التي لا يطأها الشك أن تنسي وليمز قد تأثر - في موضوع الجنس - بـ د . هـ لورنس ، الكذّيب الإنكليزي الذي أذهل الجمهور البريطاني بقصته « عشيق الليدي تشاترلي » عاقمة واقعده وروعه وأرعبه بصراخته الفاضحة واستطاعته السير في المناطق الحرام ، التي لا تستطيع حتى الشياطين وضع قدم فيها .

إن الجنس لدى نورنس قصيدة أخلافة جميلة الجرس متناسقة متكاملة تفتن بها الطبيعة بأسرها ، وهي تبدو ساطحة لماعة في مختلف محطقاتها ، في ألوان أسماكها الزاهية ، وريش طيورها وحمرة وجنات نباتها وأنباتها من بني البشر . والجنس ، في الوقت نفسه ، هو عنصر الديبومة والاستمرار ، أكان ذلك على الصعيدين الإنساني والحيواني أم على أي صعيد آخر مما نعرفه أو لا نعرفه من هذه الطبيعة العجيبة التي يزداد جهلنا بها كلما ازدادنا اطلاعاً عليها . فإذا كان الجنس عنصر الديبومة ، أي عنصر الحياة ، فلماذا كانت تلك الفضة الصاخبة التي قوبل بها كتاب « عشيق الليدي تشاترلي » وبخاصة في انكلترا التي امتازت بمدى واسع من حرية الفكر والرأي ؟ والجواب عن ذلك يتلخص بكلمة واحدة هي الرضاء أو اتفاق الاجتماع الذي يتبله في الانقسام الشخصي ، وهو داء وبيل لا دال أخذاً بخناق الإنسانية ، منذ أن وجد الذكر حيال الأنثى ووجد السار الكثيف بينهما . على أن الصراحة في مضمار الجنس لا تعني أبداً محاولة إزالة الضوابط الخلقية ، وزعزعة المثل العليا في الحشمة والأخلاق النبيلة الرصينة المهم أن الرضاء الاجتماعي ، في هذا الصدد ، هو الذي ينبغي مقارنته ومصاولته ، لتتكشف الحقائق ، وتتبدى الخوافي وتتعري الدهاليز النفسية ، لتضي إليها أشعة الشمس فتظهرها من عفوة السوم، وتنتقيها من ادغال السحابة وأكدار التفاتة التي تراكمت مع الزمن حتى خفت نفوس الكثيرين ، وحاولت أن تسم غيرهم .

ومن هنا ، فإن الجنس الملف بالرياء ، هو جنس مريض وهذا ما ابتته علم النفس بأدلة قاطعة وحجج دامغة ، إلا أن تعرية الجنس لا تعني التحلل بحال من الأحوال ، ولذا اقتضى الأمر أن يكون تناول هذا الموضوع الحساس دقيقاً كل الدقة ، سليماً من الآخذ الصبيانية العجة ، بعيداً كل البعد من التبلل والترخص والانفلات القصدي من المقاييس والقيم الخلقية ، جداً كل الجِد في المعالجة بعد تشخيص متأن حذر . ولما كان الإنكليز تقليديين بطبيعتهم ومزاجهم ، ولما كان لورنس صريحاً ، أشد ما تكون الصراحة ، يعطى للكلمة معناها الطبيعي العاري من غير التفات إلى الرمز



يوسف عبد المسيح ثروة

الخائضون في الجحيم

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

تنسي وليمز كاتب مسرحي أميركي المشهورة طائفة في مجالات الأدب الحي ، وأسلوب بارع في تناول الشخصيات وقدرته الرائعة على تصميم الحكيمات المسرحية ، وسبك محكم للحوار بأشكاله المختلفة وأحواله المتباينة . وأعماله الأدبية على وفرتها ، تمتاز بخصل رفيعه تجلي في صدق لطيف وأسانية شغافة ولغة بسيطة . ومع مرارة الموضوعات التي تناولها لاستعراؤها وتشريحها ، ومع الصراحة الكاملة التي تعتورها ، فإنه رفيق مع شخوصه حادب عليها ، متساهل مع معاصيها وآمالها ، كريم في معاملتها ، يأخذ الناس بما هم ، لا بما يجب أن يكونوا ، شعاره النزاهة في القول واللفظ في الاداء ، وتخريج الأمور تخريجاً طبيعياً ، لا تكلف فيه ولا تصنع ، وهو في ذلك تلميذ أمين للمدرسة النقدية الطبيعية التي وضع أسسها الكاتبان الفرنسيان الكبيران اميل زولا وغوستاف فلووير .

أما الموضوع الرئيسي الذي يثائر منه بالاهتمام الشديد فهو الجنس ، الجنس في عريه ، في واقعه ، في حقيقته في طبيعته العينية ، في زبقيته المترجحة المتحللة من قيود الأخلاق وأصناف التقاليد والعادات . أرض جنسه رخوة لزقة آسنة في أغلب الأوقات ، أما السماء ، فهي سموخها واحتلالها على الجبال والوهاد ، فلأفنة غائمة ، تمطر رذاذاً من الغيث أحياناً ومن رجوم الشياطين والتيازك والشهب أحياناً أخرى ، لكن الصفاء والسماء بعيدان كل

وهو على عتبة الموت ينظر إليها نظرات مليئة بالاعجاب الاجتماعي حاداً كل الحدة وجسم المجتمع الطبقي ابريطاني المريض مليئاً بالقروح والقائمة والإفات الباطنية ، التي هي في أسوأ دركات التعفن والتبزل ، فان من حق الضجة العارمة التي افشحت ان تكون على اوسع نطاق من الذبوع والانتشار وان يصاد آتى القانون والنظام لئلا تلوث العذاري وتسمم افكار الغنيان ويهدد المجتمع بانفلق العواقب .

ومع ذلك فان لورنس لم يمن بالمضمون الاجتماعي للجنس عنابة وليميز به ، لان شاعريته كتاباته تتصف بميزة من الاستعلاء والفردية والانسلاخ ، تجعله في واد والمجتمع في واد آخر وتجعله في جزيرة نائية عن يابسة المجتمع ، انه عندما يتغنى بجسد المرأة ، يتغنى بها بصفتها انثى لا يعقنها زوجة تنجب اجيال المستقبل ، ولا شريكة للرجل تعمل على مساعدته واعانته على مكاره الدهر وتوازله ، ولا اما تسهر الليل حديبا على وليدها ، ان الذي يتحدث عنه لورنس هو الانثى ، الجسد في تنونه والعاره ومساربه واسراره ، في شطحاته وتعلاته ، في تقلباته واتشاءاته ، في التواءاته واحساناته ، في ايمانها ورفرائه ، في نهدهاته وآهاته وبها الى ذلك من شؤون وشؤون . هل حين ان وليمز لا يعمى كل هذه الطريق مع لورنس ، بل هو قد ينشق عنه ويحتدي طريقا اخرى ، فالرباه مثلا هو المحور الذي تدور حوله شخصوس مسرحية «قطعة على سطح من الصفيح الساخن» . فالأب الحديث النعمة الذي تدرج من الأكبر/بسط إلى صاحب اطيان كبرى رجل مريض مصاب بالسلطان «وهو يمقت زوجته التي عاشها اربعين سنة ولكنه لا يكشفها هذا الفتى والابن الأكبر انسان خبيث جشع يكره والده ولكنه يبدي له المحبة والاحترام ، اما الابن الأصغر فمفخص سبق ان كانت له صلات جنسية بصدقه الذي توارى عن الانظار بعد ان تسلمه الموت وهو في ريسان الشباب ، لانهم الا ان الجميع ما عسدا الاب اناس مراؤون (1) ، لانهم يعرفون حقيقة مرض الاب غير انهم يخفون الواقع عنه ، لان اباهم اصبحت معدودة وكلهم ينتظر ان تكون كذلك ، الا الام الغبية المشحمة .

اما الوحيدة التي تحب بصدق وتكره بصدق فهي مارجرت زوجة برك ، الابن المنحرف ، انها هي انقطة التي تفقر من هنا وهناك على سطح الصفيح الساخن . انها هي القوة الخفية الخيرة في المسرحية كلها . الا ان العمم الذي ابتليت به يحز في قلبها ويجعلها تقول مخاطبة زوجها : « تصور يا برك ، لديهم خمسة ، والسادس في الطريق ، وجاءوا بالمجموعة كلها الى هنا ، كما كانوا حيوانات في سوق المدينة . نحن لا اطفال لنا بالرة ، وبالتالي لا نفع لنا بالرة . هذا بالطبع امر مضحك ، ولكنه ايضا كربة ، مادام هدفهم واضحا . » (2) الا انها تحاول التوضيح من ذلك المعز المخزي بلفت النظر الى جمال جسمها وكيف ان الاب

والاشارة واللحمة الدالة البعيدة ، ولما كان مبضع لورنس والاشتهاء . فلنستمع اليها تناور زوجها في هذا الشأن . « اليس جيملا من ذلك الرجل العجور الذي يقف على عتبة الموت ، ان ينظر الى جسمي نظرة تقدير اظن انني استحقها » وحين تذكر ان مي زوجة الاخ الكبير كانت يوما ما ملكة القطن تجيب هازلة : « اما ان مي كانت ملكة القطن - كما يذكرنا دائما كليلنا نسي - فهذا شرف لا احسدها عليه . تجلس على عرش نحاسي .. تبسم وترسل القبل الى كل الحثالة في الشارع » .

غير ان هذا التنفيس الاصطناعي عن آلامها المكبوتة لا يفيدنا في شيء عندما تواجه حقيقة حالتها وما آلت اليه بين زوج مضطرب وعائلة كريمة ، ولذا كان شعورها بالاماسة عميقا مرزعا في مرارة العجبة وحلاوة الصال وصداقة مواجهة الحقائق العارسة ، وفيه نجاسة باردة وصبر جميل واعتلاء على المصائب المرعبة ، واستهزاء بالقادير ، واعتراف جريء بالواقع المر ، واقع الصفيح الذي كانت فوق سطحه . وكيف لا تكون حلاوة النضال من ابرز صفاتها وهي القائلة : « ما زلت في الميدان ، وانا مصمم على الفوز ، اي فوز هذا الذي تحرزه قطه على سطح من الصفيح الساخن ، يودي ان اهرق .. ان تبي عليه اطول ما في استطاعتها على ما اظن » ؟ ، اما مواجهة الواقع المر والمصارحة بحقيقته فهما يشيران الى الاسف والاشتهاء ولا سيما الى تنطلق الكلمات التالية من بين شفيتها مدبرة عينيه . « الهروب من مواجهة النسل لا يطفى الحريق . ان السبوت عن شيء يجسم هذا الشيء . انه ينمو ويتفتح في صمت ، ويصير شيئا خبيثا مميذا . » وحين يذكرها زوجها بالشروط التي انفق عليها للمعيشة مما تنفي هذه الشروط وتنفي حتى المعيشة معه بقولها : « انا لا اعيش معك . انا نحتل قمصا واحدا » . ثم لا نلتا ان تذكر الحال التي هي فيها فينتابها اليأس ويستائر بها القنوط الى حد القول : « اوه برك . الى متى تدوم هذه الحال ؟ هذا القباب ؟ ام بعضي زمن كاف ؟ اريد تنفض من العقوبة ؟ وجوابا من هذه التساؤلات جميعا تردد القول بمرارة مرعبة « انا اشعر طوال الوقت كانهي قطعة فزقة على سطح من الصفيح الساخن . » ومن اجل ان تثير الرجولة في الفتى المخذت تحاول بعث الفيرة في زوجها الامامي فتقول : « ما زلت ادير رؤوس الرجال في الشارع . في الاسرع الماضي عندما كنت في ممفيس ، اينما ذهبت كنت اشعر بملاسي تحترق من نظرات الرجال » .

اما حقيقة الفقر والخيافة في جميعه حتى الركية فلا تعبر عنهما كلمات باحسن من كلماتها : « برك . لقد كنت طول حياتي فقيرة معدمة الى درجة تدعو الى الرزاء . هذه هي الحقيقة يا برك » . لكن برك يجيبها ببرود قطيع : « انا لا اقول انها ليست الحقيقة وردا على هذا البرود ،

تستطرد قائلة وكان فيها يركن يقذف بالحجم لا بالكلمات: كنت مرغمة على ان اعيش عائلة على ناس لا اطيعهم . كان لديهم مال وكنت مفلسة . انت لا تعرف ما معنى ذلك . . ان هذه الحالة تشبه كل الشبه حالتك لو كنت على بعد الف ميل من كاس الخمر ، وكنت مضطرا الى السير اليها على قدمك المكسورة بدون عكازة . ثم تمضي في اعترافها فتخبر برك بصلتها الجنسية بسكر متحلة بانها كانت تفعل ذلك ليحلم كل منهما انه كان يتبادل الحب معه ، وعلى سبيل الترفية والنهدة تستمر قائلة : « ان حكما كان حبا لا يمكن السير به الى غابة مرفية ولا كان يمكن حتى التحدث منه بصراحة . . برك انا افهم كل شيء ذلك . وانا . . اعتقد ان ذلك كان نيلاً مني والتقطعة الوحيدة . التي اريد ان اذكرها هي ان الحياة لا بد لها من ان تستمر . لا بد للحياة من ان تتصل ، حتى بعد ان ينقضي حلم الحياة . »

الا ان هذا الاعتراف يثير حفيظة برك فيضربها بمكازته التي تخطي الهدف وهنا تراجع عن تبرير سلوكها وتقول « اخطائتي . آسفة . انا لا احاول تبرير سلوكي . . انا لا خير في . لا ادري لماذا يحاول الناس الادعاء بانهم صالحون خيرون . ما من احد صالح او خير . قد يستطيع الاغبياء والمراهون ان يحترمو التماذج الاخلاقية » اما هي فقد « ولدت فقيرة ونشأت فقيرة وتوقع ان تموت فقيرة الا اذا استخلص برك شيئا مما يستتركه أيوم » وهكذا هو بيت القصيد من ملحمة هذه القطعة . هذا هو التناقض الاساسي في الحياة يأسرها ، التناقض الذي يضع ثقل المال في كفة الاخلاق لترجح ، ولذا تكون الكفة الثانية فارغة ، وكيف لا يكون الامر كذلك ، وليس الفقر الا الفراغ المقابل لكل امتلاء . انه ضياع لكل معالم الحياة النظيفة واضاعة لكل مناقبها ، وكابوس مسموم يخفق كل نبضة خضراء ناضرة وكل نفس عامرة من الايمان بالانسانية الا النزر اليسير وهؤلاء هم الغالبية العظمى من البشر الذين يجعلون اقدار ابايهم متناقضين متبرمين ، كانوا لم يهبطوا الى هذه الدنيا الا ليسجنوا في افقاص كبيرة او صغيرة كما هي الحال مع مجابي تلك التغطية الحولة الفقيرة ! اما الاب المريض الذي يدرج الى الموت يخطي سريعا فانه يحدثننا عن نفسه وشخصيته وأخلاقه بلغة لاتنقصها الصراحة حين يتجاذب اطراف الحديث مع ولد يدرك الاثير لديه . هناك شيء اذكره التلال الحقيقة بمدينة برشلونة في اسبانيا . والاطفاله يهرولون فوق تلك التلال الجرداء بجلودهم العربية ، وهم يستجدون كالكلاب الجائعة وهي تصرخ وتنبع . . يا لله ! كنت ارمي اليهم بالنقد لاتخلص منهم فترة من الوقت تكفي لكي اعود الى السيارة وامضي في سبيلي .

ارابت الى اي اسفاف تبلغ هذه الصفاقة التي تنبع عن كل ذوق مهما يكن قليل الحظ من السلامة ، ولكنها تنفع من صفاقة كل رجل مليء الجيب فارغ الرأس ، ولا سيما

اذا كان هذا مليونيرا لم يعرف من الحياة شيئا غير الجشع واكتناز المال واحتقار الانسان وانتلاع كل معلم من معالم الخير في نفسه . . واذا شئت فاسمع عينة من فلسفته وهو لا يزال يحاور ابنه برك : « ان الحيوان البشري وحش يفنى ويموت . ولكن كونه يفنى ويموت لا يجعله يشفق على الآخرين . . وبعد ان يتناول ابنه عكازته يستمر في كلامه في الحاح وعناد : « ان الحيوان البشري وحش يفنى ويموت واذا كان لديه مال فهو يشتري ويشترى ويشترى . واعتقد ان السبب الذي يجعله يشتري كل شيء يستطيع شراءه ، هو ان في عقله الباطن املا مجنوناً في ان الحياة الابدية ستكون من بين هذه المشتريات . . وبعد ان يفنى بفلسفته هذه من الحياة ينتقل الى الحديث من الخوف من الموت وبخاصة اثر الاعتراف بصفقة مرضه الخبيث ، ويقول : « ان الخنزير هو الذي يصرخ من الالم . اما الانسان فيكتم الامر في نفسه ، ولو ان الانسان ليست له ميزة الخزائر . وحين يسأله برك عن معنى هذه الميزة يرد عليه قائلا : « ان الجيل بالوت والفناء راحة . وهي راحة لا يتمتع بها الانسان . فالانسان هو الكائن الوحيد الذي يتصور الموت ويعرف ما هو » .

هذه ليست كلمات انسان يعيش في هذه الحياة ، بل هي وشوشات غريبة لعين يخوض في مسارب الجحيم . فلا ينطق بكلمة الا وسعوم الاغصان تنفع منها لتزيدها سعارة واراءا وقرراً متعاقرا وكيف لا تكون الحال كذلك وهو الذي يقول بفراسة ليست فريبة عليه : « كنت طول حياتي كضيف اليه . . احطم واسحق وامزق بعنف وقسوة . . ولكنه يفكر الان . ففيم هذا التفكير بعد ذلك التحطيم والسحق والتمزيق ؟ انه يفكر في « اللذة مع النساء » وهو يقول في هذا الشأن : « ما زالت في بقية من الحيوية وساختار لنفسي امرأة جميلة ابددها عليها . . ساجدها عارية من ملابسها وافرقتها في الفراغ ، واخفها بالماس ، وعلى هذه الشاكلة الجنسية البحت ينتهز هذا الرجل ان ما انتهى اليه من انانية قلقة ، وسعار جنسي حامل بالكاشفة والمصارحة . الا انه لا يلتفت في هذا المجال سالا قليلا ، اذا عاود محاوره ولده عن سبب ادمانه على الخمر .

« الاب ! . . اجب عن سؤالي . لماذا تشرب ؟ لماذا تبذل حياتك هكذا كما لو كانت شيئا كرهيا التقطعه من مرض الطريق ؟

برك : سأخبرك في كلمة واحدة .

« الاب : ما هي هذه الكلمة ؟

« برك : الاشمئزاز .

« الاب : الاشمئزاز من ماذا ؟

« برك : اما سمعت ابدا بكلمة « الرياء » .

« الاب : بالتأكيد . الرياء واحدة من هذه الكلمات الرخيصة التي يتبادها السياسيون التافهون . . فكر في

كل الكذب الذي لا بد على أن اتحملة ؛ دعوات ومزامع .
 ليس ذلك رياء . أن أكون ملتزما مثلاً بحب أمك ؟ أنا لم أكن
 أطبق شكل هذه المرأة ولا صوتها ولا رائحتها خلال ريعين
 سنة .. وانظروا بحب ابن الكلية هذا جوير وزوجته مبي
 وهؤلاء المغاربت الذين يصرخون في الخارج كالبيفوات
 في الضاية . والكنيسة - أنها تصجرني ؛ ولكنني أذهب
 إليها . وأجلس وانصت إلى ذلك الوافط الإحقق . النوادي
 الماسون . الجوراني . كلام فارغ .

وبهذا الأفلاس الذي أعلنه الأب بتقور مصيره النفسي وبتق نافوس الجنائزاة قبل أن تنطلق روحه فأرة من جسدھا مسرورة من هذا الانطلاق كل السرور لانھا تخلصت من العقونة النفسية التي أسفت بشخصية الأب حتى هسمت كل آثار الخير في طبيعته . إذ أنه لم يسع ، طوال حياته إلى شيء سوى أن يصبح مزارعاً ناجحاً ، على اكشاف العديد العديد من الحيوانات الادمية لتبيع كدها ، جياتھا ، وجودھا مقابل لقمة كود مغنوسة في عرق من دم فاسد . وطبيعياً أن يكون الرباء هو المستنق الذي هاش فيه الأب والذي تمكن بواسطته من أن يسرق اعقاب الآخرين ليجمع الاطيان الهائلة وملايين الدولارات ، وهو لهذا السبب لا يشكر للرباء ، بل نراه يلغو اليه بحرارة الوامض الذي يستحقه ، لانه لا يجد بدلا في هذه الحياة فهو يقول : « الأب : لقد عشت مع الرباء ، فلماذا لا أستطيع أن تعيش معه . لا يوجد شيء آخر تفهش معه سوى الرباء هل تعرف شيئا آخر ؟ » فيجيب الانس بالاحجاب وكذا توكيدا مرفا رافعا كاسه .

« بورك : نعم . نعم . هذا ! الخمر . وهنا يسارع الاب
بالرد على ابنه بقوله :

« الآب : تكن هذا ليس ميثا ، انه هروب من الحياة .
الا ان الابن بدلا من ان يرد على ابيه يؤكد مقتوله :

« يرك : وانا اريد ان اهرب منها . »

والذي توصل اليه الاب والابن الى الحقيقة المله القاسية : ان الحياة هي الرياء . وههنا ادل على ذلك من قول الاب : « الاب : ان اشمئزك من الرياء هو اشمئزك من نفسك . وهذا ما يوكده برك ويسترف به بصراحة :

« برك : الرباء نظام نعيش فيه . الخمر وسيلة للخلاص ،
والموت وسيلة أخرى » ويريد على قوله هذا بان يقارن بين
نفسه وبين غيره : « لعل كونهم احياء هو الذي يجعلهم
يكذبون ، وكوني اكاذ اكون عديم الحياة هو الذي يجعلني
صادقا » .

ولكن سلطان الحياة ، سلطان الرياء والمال ، لا يلبث أن ينتصر في خاتمة المسرحية ، فينهك يترك الصادق ليحل محله يترك آخر يعرف كيف يستغل الكلب وهو عنصر الرياء الانساني من أجل مصلحة الخاتمة ، وكل ذلك بفضل القطة ماجي التي تستطيع بما عرفت به من تضحية وصبر

على الكاره ان تفوز بغيرها وان تقول وهي المنتصرة الغالبة :
 اوه ! انت ايهما الرجل ! ما اضعفك وما اجهلك
 حين تستسلم في وداعة ! كل ما انت في حاجة اليه هو
 شخص يستولي عليك في رقة وحب .. وانا استطيع ان
 افعل ذلك . انا مصممة ان افعل ذلك .. ولا يوجد من هو
 اشد تصميما من قطرة على سطح من الصفيح الساخن .
 اريد كذلك ؟ ائسي كذلك ما طفلي ؟ »

وهكذا يقدم لنا وليمز وصفا حيا للمجتمع المناق الرائي
الذي عاش بين مخالبه واكتوى بناره وخاض نار جحيمه
باسلوبه الصريح البديع ولغته الشعرية الاخاذة من غير
تكلف او تصنع ، وهو - في ذلك - صادق مع قرائه كل
الصادق .

اما الكابرة والفخخة الكاذبة والتلق السمع بالاوامح
فتجدها جميعا متجسدة في شخصية بلانش دييوا بطلة
«هيرة اسمها الزينة» هذه الشخصية التي ترقها التناقضات
بين القديم الفخم والجديد الاس . بين بيل ريف ، وبين بيت
اخيها القيسر في نيو اورليانز ، بين اسرة دييوا في
عظمتها وجبروتها ونلها التلبد ، وبين حقيقة زوج اخنها
كولسكي ، الرجل الاعتيادي النافه ، صاحب المضلات
والرجولة والدم الحار . كل هذا التناقض كان ينبغي له
ان يسوي مع الرغام ، لو كانت بلانش منسجمة مع واقعا
الذي اسيرته في الاستنواف في لوريل حيث كانت
تنقل من سرير الى سرير تروي العنشى بشبابها المض
بعد ان تنصلت من زوجها الفتى المذل المخذل وانهار
كما انهار هو ايضا ، وهكذا ضلعت في لوريل بسبب ضياع
امالها في فتي امالها . ومع ذلك ، كان حينها الى حياة
الجانب الاسطورية قبل الحرب ، حيننا عارما قويا فيه
بجاذبية لا تقاوم ، لهذا نراها تهبط اورليانز وهي تحمل
امالا غراضا ، وتروى الى آفاق واسعة ، وعوالم جديدة تعيد
لها ما فانها من مجد عتيق ويدخ وفيه وكرامة شائعة ، واذا
لم يكن الامر لينتهي الى تلك الجنة فهو حتما منته بها الى
الخلاص من جحيم البقاء الذي كانت تخوض فيه كيلا تموت
جوعا وكي تستمر متشبة بالعيش وحسب . الا ان
صهرها بدلا من ان ياويها ويحبب عليها بغضبها ويرمي
في مستشفي المجانين بعد ان يفضح امرها لصديقه
ميش الذي كانت الصداقة تتوطد بينه وبينها لكي تنلوا
بلقة فصلة في ايلة !

(١) هذا فيجاء بنص المرحوم بالقياس الى الآب ولا شيء آخر .
(٢) اعتمدنا في شواهد (قطبة على سطح من الصفيح النازح)
الى ترجمة عبد العظيم البستاني لهذه المرحومة .
(٣) المرحومة الأمريكية : السيداوت : ترجمة : د . عادل عبد الحق .
(٤) المرأة السورية ع ٢٢ ص ٦٤ . (٥) فريه اسمها القرنية = تنكس
العين : ترجمة : عزيز حنري ص ١٤١ .

يصف ابن داور هذه المسرحية وصفا شيقا فيه إيجاز ودقة وأصابة بقوله : « هذه المسرحية لا تختلف في عالمها عن جزيرة يسكنها أفراد يشعرون بالوحدة تحيطهم بحار فائقة من جميع الجهات (٢) وهل أشد تنفكا في النفس من بحر اللذات والعار والعشش الذي كان يحيط ببلاتش في لوريل وهو ما تصفه بقولها : « كنت أضطر إلى الأصدقاء والتضليل واختار لنفسني الألوان الناعمة : ألوان إجنحة العراشة ووهجها حتى أحيط نفسي بنوع من الجاذبية والسحر لا يمكن من سداد قيمة .. ماوى ليلة واحدة .. كنت أبحت عن حمى احتفى فيه عنلما هبت من حولي العواصف وأحاطت بي الأعاصير .. كنت أعرب من سقف متداع مثقوب إلى سقف متداع مثقوب آخر فلم أجد الأمان ولا الاستقرار تحت أي منها .. ان الناس لا يرونك - الرجال بالذات - لا يعترفون حتى بمجرد وجودك ما لم يطارحوك الغرام .. وما دام الإنسان يبحث عن حماية الآخرين فلا بد له من أن يحلمهم على الاعتراف بوجوده (٤) » .

وهذه الوحدة التي أشار إليها داور إشارة عابرة هي الحالة الشعورية المحركة التي تشوي نفس بلاتش شيئا فتجعلها تتلوى كأنها سكة في مضامير من الرمال النارية ولهذا نراها تخاطب ستيلا اختها متعلقة بأهداب حبال متش : « اني أريد أن استريح ! أريد أن اتفرغ في هدوء واطمئنان نافية ! أجل أريد - أريد مش .. ستنقطع ! فكري ! اذا حدث هذا فسأتمكن من الرجل عن هذا : ن أصبح بعد ذلك مشكلة « لأحد .. »

وحين يريد وليمز أن يسبق غلالة رقيقة من الرمزية على مسرحيته هذه ، لكي تكون للرغبة الشهوانية دلالتها المؤثرة يحمل بطلته بلاتش على الضحك المتجهم وعلى القول وهي تخاطب متش متسائلة : « هل لا تزال تلك العربية التي يسمونها الرغبة تطحن الشوارع والطرقات في هاته الساعة من الليل ؟ » إلا أن العربية تقف مند باب مستشفى المجاذيب بعد أفلات متش من بين أصابعها وتدخل هسي في لبس طويل بهم بعد أن غادرت « عالم البهلوانات والمثليين ، العالم الذي كله زيف وتقليد » وبعد أن كانت تحلم « انها ستدفن في البحر » وستكن في كيبس إيفس تنظيم ويلقى بجثتها من فوق سطح البحر . وقت النظرية وبني وهج حرارة الصيف إلى أعماق المحيط الذي تشبه زرقته أمين حببيها الأول » .

أما الطائر الشاعر والموسيقي الفنان ، الذي ينأى على مطبات الريح وهي متطائرة متناثرة في الأجواء الزرق الأزوردية فهو يفعل ذلك لأنه لم يخلق بقدمين يرتكز بهما على الأرض ، هذا الشاعر الموسيقي هو فال بطل مسرحية « أورفيوس هابطا » . ان كارول تطارده وتريده لها حبسا عشيقا يروي نهمتها التي لا تنقح غلتها ، وكذا تفعل ليدي

بورس . لعنيم قسرا وجبرا ، وهي المراد المحصن لو كان لحرثها خط من غيث مخصص . على حين أن يعلمها رجل مريض يزوره مبعوث الموت حينما ثم يتركة كي يزيد فسي الامه وواجعه واسقامه .. جزاء به على ما اقترفت يدها بحق والد ليدي الذي ذهب ضحية حريق فطعن النهمه مع ما انتهم من حاة كرومه الدائبة .. لقد اشتراها زوجها جاب توروس وهي لما نزل فسي الثامنة عشرة ، اشتراها رخيصه . لانها كانت كبيرة بعد ان قذف بها إلى الشارع اثر احتراق والدها وبقيتها فريدة وحيدة .

لقد كانت تكرهه كما كان يكرهها ولكن اصحاب الجحيم يتبادلون الكرة كما يتبادل اصحاب اشميم لطائف المحبة والالفة . وهكذا وقع فال الطائر الشاعر بين فكي هاتين المرأتين ، بين كارول وليدي ، كل منهما تريده لنفسها وهو لا يريد أي منهما . ان كارول تتجلبه بعنف وتمسح قائلة : « ما عليك إلا ان تمسك مني يقترب منك بكتلت يدك حتى تتكسر أصابعك كلها » . غير ان نصيحتها هذه لا تفيدها في شيء بل هو يزداد تمعنا بها لهذا الإلحاح . وحين يسألها عن زينتها التي تجلب الأنظار وعن سبب ظهورها بذلك المظهر العاضع تجيبه باعتداد وتباه وعدم أكثرات . « انني عارضة أزياء ! أريد أن الاحظ وأرى وأسمع ويشعر بي ! أريدهم أن يصرخوا انني حية » ! لا تريد ان يعرفوا أنك حي ؟ « وعلى ذلك يرد قال : « انني أريد ان أحيا وليس مع بقائي » أكثرات بهم ويمرقتهم » .

أما ليدي ، « ها انا تواجه فال او وهلة حتى تسأله : « بالله عليك عم تبصت هنا ؟ فيجبها : « أبحت عن عمل » وهنا تقول ليدي « الأولاد من منلك لا يعملون » . فيشير هذا الجواب تساؤله : « ماذا تمنين بالأولاد من مثلي ؟ » فتزد قائلة : « هؤلاء الذين يمزفون على القيثارة والذين يتحدثون من حرارة دمهم » .. وبعد اخذ ورد في موضوع الحرارة ينبري فال ليدي متجهما ويقول : « يقال ان المرء يستطيع ان تحرق الرجل » لكني انا الذي استطيت ان أحرق المرأة » وحين تذكره انه لا يفعل ذلك الآن يجيبها : « لست متعبا ولكنني متمزز » . وعلى اثر فهمها العملي لنار التي تلتهم في نفس هذا الشاعر تسحب ليدي كلامها وتقول : « نعم تستطيع ! تستطيع ان تحرق المرأة وتدوس على رماها لتتأكد من انقضاء النار ! ولما تعلمها الانسة بورتر بالعار الذي لحقها من جراء ما فعلت مع فال تجيبها متحدبة : « كلا أي عار هذا الذي فعلته . انه سرور عظيم » . وهكذا تتمكن النمرة من الشاعر الطائر ، ثم ينتهيان معا كما تنتهي كل الكائنات على يد زوجها الذي يتفجر ثاره مدوبا فسي رصاصات لعينات . ويستمر جسيم وليمز يتلقى بشخوصه الآخرين .

يوسف عبد المسيح ثروة

بفاد



سفرة الناي

مجموعة قصص - نايف طاهر لاشين - ٢ صفحة ٢ مطبوعة

الناهران : طاهر حتي ، وطاهر لاشين : يصادفنا في فن القصة العربية اسمان يخلط بينهما كثير من الناس لتشابههما في النطق وفي الاسمين الاول والثاني من الاسم الثلاثي الكامل ... وهما : محمود طاهر حتي ، ومحمود طاهر لاشين ... فكلا منهما « محمود » ، وكل منهما « طاهر » ، ويترقان في الاسماء الثالث : حتي ، والاشين . ويجوز هذا التشابه في الاسمين الى خلط في نسبة آثار كل منهما الى صاحبه . ولكن لا بد ان نذكر ان محمود طاهر حتي هو صاحب « طهراء دنشواي » التي نشرت في صحيفة «الثبيرة» سلسلة سنة ١٩٠٦ ، والتي نشرت مستقلة في كتاب سنة ١٩٠٧ . ثم أعيد نشرها في إصدارها في مشروع « سفرية الناي » التي يحرصها اليوم هذا ، وصاحب « يحكي ان » - وهي مجموعة قصصية موعنا بها في عدد قادم - وصاحب « الفتيان الطائر » التي ظهرت سنة ١٩٤٠ بينما كاتب الجريب العاليية الثانية في تاسي أعوامها ...

بين الهندسة والفن القصصي : لم يكن محمود طاهر لاشين فصاحبا متفردا لفنه القصصي الجديد على الأدب العربي في القرن العشرين ، ولم يكن أدبيا معترفا بكل عيشه من مهنة الادب التي لم تكن تقتصر بيتا ، ولا تصب في سراج أبيت زينا ... ولكنه كان مهتما بمجال في الحكومة ، وفي مصلحة التعليم بالذات ، في وقت نهى الرسمي من الصباح الى ما بعد الظهر ، وفيما بعد ذلك هو حر حين يقربا ، وحين يؤلف ، وحين يفتل الى مفه أو تدوة يرسم خطوط قصة ، أو يناقش في قضية أدبية ، أو يجوس خلال الأحياء الوطية المولدة في القدم ، العربية في المحافظة ، فيفتح عينه على دقائق مسن مشاهدتها ، وينتج إليه على كثير من الظواهر وتفسيراتها ، وينسج ملاحظته الواضحة على كثير من مساكن سلوكها ، ومناخات تصرفاتها ، وسؤالون أن يصل الى أمثال بعضها ليرى مبلغ العلاقة بين الفلاسفة والباطن ، وبين الشكوف والتشود ...

وليس عجبا أن يجمع أصحاب الفنون القولية بين أسباب عيشهم وظواهر فنيهم . فلقد كان في القديم شعراء يشتغلون بالجزارة ، ودي الساعات ، والجبر الطام ، وطب العين ، وخياطة الثياب ، وصناعة البازن ... والشار « الري الزمان » ، والفصين بن أحمد الجزار ، و « ابن الساعات » هم بعض شواهدنا على ما نقول . وما لنا نلجب بعيدا . ولقد كان الدكتور إبراهيم ناجي طيبا وشاعرا ، وكان الدكتور أحمد زكي أبو شادي طيبا بكتريولوجيا وشاعرا ، وكسان الدكتور نوا فياض اللبناني طيبا وشاعرا ، وكان في محمود طه شاعرا ومهندسا ... فلم لا يكون محمود طاهر لاشين فصاحبا ومهندسا؟ ولقد دخل القصص محمود طاهر لاشين « الهند سقائبة » - أو مدرسة الهندسة بالقاهرة ، كما دخل الشاعر علي محمود طه مدرسة الفنون والصناع ، وكان الأول في قسم الهنديات ، وكان الثاني في

قسم الباني . ولا شك أن هندسة البناء وتصميم العمارة قد أثر في الشاعر عكسي محسوس طه ، فتفتح في بناء القصيدة عنده هندسة وتصميما وزخرفة كانها عمارة متناسبة ... ولا شك أن عمل طاهر لاشين في مصلحة التنظيم قد أتاحه على خدمة هذه القصص ، « فبفضلها » أي بفضل وظيفته في التنظيم - جاس خلال الأحياء الشعبية ، ودخل العديد من الدور ، وحالط أولاد البلد ، وعسرف دخليق العمارة « كما يقول الأستاذ يحي حتي في مقدمة لهذه الطبعة الجديدة من « سفرية الناي » ويحيل الى أن الوطية كانت يستفي في طرفها ، سواء أكان طاهر لاشين في مصلحة التنظيم أم في غيرها ، سواء أكان مهتما أم غير مهتم ، فسان الفنان الموهوب لا يتورع ولا يهجم من أن يرثي أي وسط ، وأن يدخل أي زقاق ، وأن ينسج بين أية جماعه ، ليصور لنسا ما يريسه تصويره ...

المقدمات للقصص : ليس عجبا ولا مستغربا أن يلجأ مؤلف - مهما كان لونه - الى عمل مقدمة للكتاب الذي يدعه بين أيدي القراء . فهي كلمة رأى المؤلفون من قديم أنه لا بد منها بين أيدي كل من القارئ . وقد أي كتاب شئت منذ عصر التاليف والتدوين في الأدب العربي ، فانك واجد للمؤلف كلمة ، طويلة أو قصيرة يقدم بها بين أيدي كتابه ، ويوضح البات له على التاليف ، والتجه الذي اتجهه ، وقد يذكر الصائد الذي نقل منها واحد منها ، وقد يتألف - فليلا أو كثيرا - من امر نفسه فيمدح كتابه ، ويذكر أنه الصمد الذي فاق كل مصنف ، والرجع الذي عليه القول ! وقد يتكرر أي جهد سابق ، ويستمر أمة محاولة لاحقا - كما فعل مثلا « ابن الأثير » صاحب كتاب « الفيلس » - في البيان والبالغة والتفند ، فقد أسرف الرجل على نفسه في الببح والافتخار ، والتباهي والتعالم ، حتى كادت فمته تكسون موججة في الاستماع ...

وقد طول مقدمة المؤلف طولاً يخرج بها عن أن تكون مقدمة ، الى أن تكون كفا لانا بداته . وقد تفرق الى حد لا يبلغ معه بضعة سطور . ومن المقدمات الطويلة ، مقدمة المؤلف ابن خلدون التي كتبها على سبيل التقديم لكتابه في التاريخ المسمى « العبر » ، ودون المبدأ والخبر . فلا يلى على المؤلفين والأدباء والقصاصيين والشعراء والمطهارة أن يكتبوا لكتهم مقدمات ، مما لا يزال العمل به جاريا ، والعرف عليه فائلا الى يومنا هذا . ولنا نلاحظ استحداث نوع جديد من المقدمات في الكتب ، وهو تلك المقدمات التي يكتبها غير المؤلفين ، وكثيرا ما يجمع الكتاب بين مقدمة المؤلف ، ومقدمة أخرى لكتاب يستكتبه المؤلف ، كقصة خاصة ، أو لتخصصه في موضوع الكتاب ، أو لاعتبارات أخرى . وقد لاحظنا أن محمود طاهر لاشين كان يلجأ في مجموعاته القصصية الى كتاب آخرين يقدمون له كتبه ، بالإضافة الى المقدمة التي يكتبها هو . فنرى في الكتب مقدماتين ، واحدة للمؤلف ، ولأية المقدمة ... وفي كتاب « سفرية الناي » ، بل في هذه الطبعة الجديدة له - نرى ثلاث مقدمات : أولاها حادثة بقلم الأستاذ يحي حتي - على نحو ما يجري عليه العمل في الكتب التي تصدرها « المكتبة العربية » - وتأتيها للمؤلف ، ولانها للدكتور منصور فهي كتاب المقدمة في اولى طبعات الكتاب .

وإذا كان صدقنا المرحوم الدكتور منصور فهمي قد كتب « لسفرية الناي » مقدمة سنة ١٩٢٧ ، فإن المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي قد كتب مقدمة « يحكي ان » التي ظهرت سنة ١٩٢٠ . أما « الفتيان الطائر » التي ظهرت لطاهر لاشين سنة ١٩٤٠ فقد كتب مقدمة الدكتور حسين فوزي ، وهو عالم ادب فنان يحسن كتابته

القصصات ويجب تدوين الذكريات والذكريات ...

المدرسة الحديثة والفن القصصي : بعد جيل محمود طاهر حقني ، ومحمد تيمور ، وعيسى عبيد ، وشاذة عبيد ، والدكتور محمد حسين هبيل وغيرهم من رواد القصة العربية ، حمل جيل جديد من القصص راية القصة ، ولا شك أنهم كانوا أكثر إدراكاً للفن القصصي ، وأكثر تجاوباً مع البيئة المصرية ، وأكثر تشبهاً بالشخصية المصرية ، وأكثر بدءاً من الرومانسية وأسرافها في الخيال ، وأكثر قرباً من الواقعية وتصويراً لها وأساساً به . ولقد استنادتحي حين يصور لنا هذه المدرسة الحديثة في مقدماته العميقة الوافية كجوهرة « سغربة الناي » حيث يقول في دقة وصف ولطافة دوح (بالرغم من هذا كله فلهن مدنيون للمدرسة الحديثة بالشعر الكثير ، هي التي جاهدت من أجل أن يكون لدينا أدب أصيل ، تابع من كياننا ، وأسلوب متحرر من التكليف والقيود ، هي التي لبست لفن القصة لعمه ووطنت سمته ، وبشرت بالطلب الواقعي ، فطلمتتا من نهضة الرومانسية ، وهي التي حاربت الظلم والظفر والتجمل والتخلف والظلال - أكبر أعدائها - ورفضت مقام الفلاح ورجل الشارع ، ونادت بالتكامل الاجتماعي ، فهدت ولا ريب لثورة سنة ١٩٥٢ ، لم المماننة لاشتراكية عربية مستقلة ، لا تتكرر لمفاننا ومثلنا الأخلاقية .

كانوا جميعاً يأخذون عنهم الفني مأخذ الجد ، لا يتقنون مجداً ولا كسباً ، وكانت عيونهم موزلة وفوهم خافلة بعب مصر ، لم يشعروا مغلولاً مثل منظمهم لها . كان محمود طاهر لاشين في مسرحها هو مثلهما الأول ، ونجيبها المتألق ، وكان الدكتور حسين فوزي هو المخرج والمفكر ، هو أشدهم اتصالاً بعصارة الغرب وأيماناً بها ، ولقته أكثر تنهما وإدراكاً لعنى الفن ، هو الذي يحرس محمود طاهر لاشين ويعوض عليه بكيفية ، يعتق على الصبر والإجادة وعلى توسيع القصة التناقلي بالزلازل على أدب الغرب والشرق معاً ... هو الذي يوسع فسي الذهاب إلى مسرح الكورسلا لعصود الفارق الإيجابي من موسيقىة ونشيدية . وكان حين محمود يجهز برشته وصفاً روحه وزعمه فترمه فتنصب والقباجية ، هو والدكتور حسين فوزي فنظريته للظهور إلى الموسيقى الأدبية ، وكان إبراهيم المصري هو الذي يبدعهم من أسياد المسرح وبزواك وبقية أعلام الأدب الفرنسي ، وكان ناظر المدرسة - المرحوم أحمد خيرى سعيد - هو الذي يسلمهم في عقد واحد ، بلبل سماعته وقدرته على فنى التزاوع وإرجاع كل النقاشات العامة إلى العناصر الصعلية المكيدة . كانوا جميعاً لا يعرفون النفس ولا الشعر والغمادة . وكانوا إذا ضحكوا ضحكوا من فلوهم ومدله الواههم .. وما كسان أكثر فسحهم ! !

أنا التشجيع ولو كان ضئيلاً ... : لقد كان الرواد الأولون في فن القصة المصرية شجعاناً أي شجعان ...! لقد كانت التجربة جديدة جداً هذا الفن القصصي ، وكان الاستعداد عند القراء شيئاً ضئيلاً جداً ، وكانت الشخصيات والمآل والمصالحات الأدبوية لم تفلت على القصة أول امرها ، وكانت القصة مترجمة أولاً ومغلوقة نقلاً لا يمت إلى أرضي مصر العربية بسبب ... فالباطع الفرنسي ، الفتناليد الأدبوية ، والإسماء اجنبية ، والهجول كله خالق يوحى اليك بلقك نكرة إلى تاسع غير ناسك .. فلما جاء الرواد أرادوا أن يظهروا الانعاع لثورة ، وأن يصيروا عين الشخصية المصرية ، وأن يعورو السلوك المحلي لا السلوك الاجنبي . وكثيراً ما تهم العقبان في سبيل الرواد ومن يجرهم بعدهم من حجلة الرسالة لا تهم غنبا يكدأ بيا امامها اصحاب الزلفم ، ويكسدون تفرهمهم، ويكادون يمتقلون بالافلام والاوراق ما دامت لا تحقق لهمعددا ولا تلبهم من مارب ... وكثيراً ما نجد الرائد من هؤلاء وقد سدت عليه المسالك ، وضاعت الدنيا في وجهه ، وشى يساً بلغا من مقدرهه على لفسي في رسالته ، فلجا إلى الصمت - وهو الخصل السبل -

واستماذا بالترك والهجران ... وقد بلي محمود طاهر لاشين بمثل هذه التجربة المرة ومن بها ، فلما لم يجد جدوى لفننه ، ولا استجابته لعدونه ترك الكتابة ، وهجر التأليف ، وصبر على الصمت من تأليف القصص عشر سنوات كاملة ، ويعصون لنا الدكتور حسين فوزي هذه الحالة الطارئة على طاهر لاشين ، وكيف أحياءا التشجيع الفصيل فللا « أما كيف عاد طاهر لاشين إلى الكتابة - ولرجو أن تكون عودته اليوم لا ترد فيها ولا تبيل - فهذا حكاية أخرى يتحمل فيها السسر التشجيع مهما كان ضئيلاً - افطع هذا القصصي الذي نسي نفسه ونسيه الناس على رسالة أدبية صدرت منذ عام ، قدم لها صاحبها يبحث عن القصة العربية الحديثة ، وقد أشار فيها إلى طاهر لاشين إشارة طيبة لا يمكن أن يعرف أثرها في هذا الأخير إلا من لاحظ كيف تكلف طهرمان من الماد أحياناً لفيد الحياة إلى نبات تكس وأسه ذبولا . ففى أن يتأمل فراء هذا الكتاب ، من أهل الفكرة على الأدب ومستقبله لا يعرف مصر تلك العبودية في سياستها فيحققوا للفربية الحديثة كانيا لا يعرف الفزود ، ويكره الإذاعة ، وينصافوا هذه القدرة على العكازية والتصور ، وذلك التفرق في الأسلوب ... »

بين اليأس والأمل : حين كتب محمود طاهر لاشين « سغربة الناي » وأصدرها للمرة الأولى سنة ١٩٦٦ كان يعمل في ميدان يشاركه فيه جماعة من الكتابيين العاملين على نهائى القصة العربية ورفع لسواد الرواية المصرية العربية ، حتى تكون ملحوظة المكان ، هائلة القدر بين الآداب العالمية . ولا شك أن الفرة والوطنية وحب العروبة كان يدفع هؤلاء القوم إلى أن يبنوا للفن القصصي في مصر العربية مسرحها لا يفتنى ، وأن يبنلوا به - على حدالة العهد - حدا يغارب ما يلفسه الاجانب فيه ، فإن الخطوات على مثل هذه الحالة يجب أن تكون جبارية معلاكة حتى يبداء المسائرون ما فاههم على الأدب الطويل ... وقد كان الواحد من هؤلاء الماهلين يعمل بمسؤولية وانشراح وقبيل على العمل لغة متدانة يتقار في بناء نوسفة ، ويسهم في إقامة مسرح ... ولقد عر محمود طاهر لاشين من سروره بذلك العمل الأدبي فللا « ومما يضاف لسروري في اعمل إلى جانب طائلة صالحة من غيرة الآباء المثبرين ، أحس بالذكر منهم : الدكتور حسين هبيل ، ومحمود تيمور ، والدكتور حسين فوزي ، وحسن محمود ، وإبراهيم المصري ، وسعيد ميهه .. فاولئك هم الذين بكروا في بلل جهودهم ، لاقتحام الطريق الذي يؤدي بالأدب العربي إلى مكانته ، التي يجب أن تكون له بين الآداب العالمية .. »

بمثل هذه الروح التناولية بدأ طاهر لاشين التقديم لأول نتاجه في القصة المصرية ، وبعد ثلاث سنوات أصدر مجعونه الثانية « يعنى أن » ، وقد كان ممكناً أن يستمر لاشين على السدوب ، وأن يواصل صيره ، ولكن بظفر أن الضبات التي صادفته أكثر من احتمال صيره ، فلجا إلى الصمت عشر سنوات ، إلى أن وجد من الناس من يذكره بكلمة طيبة في عراري الحديث من نشأة القصة العربية ، وكانت الكلمة الطيبة وبيزة ، إلا أنها جات - كما يقول الدكتور حسين فوزي - كطراوت الماء حين ترد الحياة إلى نبات تكس القبول راسمة ... »

القصة العامة وراء كل إنتاج : عجيب أمر هذه العامة التي كان لسطقتها - وهي لغة حديث وتطالط - وقع على نفوس بعضى المؤلفين حين يكتبن ويصرون على الوقوف . لقد تسربت من العامة الفظا وجبريات كثيرة إلى كتب بعضى المؤلفين في التاريخ العام ، كما فعل « ابن ياسين » المؤرخ في تاريخه ، فهناك مئات ومئات من الألفاظ والمصطلحات العامة التي دونها ولم يجد حرجاً في استعمالها ... ولقد جازاه بعد ذلك مؤرخ مصري ، آخر هو « الجبرتي » صاحب التواريخ المشهور ومعلمون حوادث العمل الفرنسية على مصر ، وحوادث

محمد علي . ولقد كان مثل هؤلاء المؤرخين منجوعين عن الهبوط إلى الطامية ما داموا لا يسجلون حوارا ، ولا يتدون محادثة ، ولكتهم يرددون الحوادث سردا بلسانهم ، أو يروونها بأسلوبهم . أما القصاصون فقد أناروا مشكلة اللغة في انشاء الجوهري إلى الحوار في قصصهم . فمنهم من أثار أن يكون الحوار طبيعيا بلغة قاله لا بلغة القصاص . فلجنا محمود طاهر حتى إلى الحوار بأماطية في قصته « عسبراء دنشواي » ولكن النقاد لم ينجحوا منه هذا الوقت ، فرد عليهم قائلا « ولقد كان من بينهم - يعني من القراء - من تغفل فالتفتد لفظة الرواية ، لأنه مفسح - على زعمه - للغة القرآن الشريف ، وغاب عن حصارهم أنني تعمدت الكتابة باللغة العامية ؛ العامة الريفية ، لتكون أولي في الناس ، وبماطية طرق الأصل لمحادثة سكان القرى ... »

وهكذا نرى أن عامية الحوار في مطالع القرن العشرين لم تكن عنيف أو جمل بأساليب الفصح ، ولكنها كانت شيئا متعمدا ، لتكون صورة حية للغة الحديث بين العوام وأهل الريف ، ولتكون أصملا أداء من لغة مقصولة لم يتلق بها فلاح ولا صانع ولا طبخ ولا غيره من ذوي الشخصيات العامة في القصة... ولجنا الدكتور محمود محمد حين هيكلا إلى بعض الحوار أو بعض الإفراط العامة في حوار قصة « زيت » . وزاد محمد نيجور - رحمه الله - حين جعل لغة الحوار في المسرحيات عامة سرفا ، استجابة لطلاب المسرح من جهة ، ومطابقة للصدق في الأداء من جهة أخرى فلما جاء محمود طاهر لاشين سنة 1966 لم يدخل بعض الحوار العامي في مجموعة « سفرية الثاني » ، وقف له الخاطفون ، بل لم يملك الروح الدكتور منصور فهمي أن يقول له في المقدمة التي قدم بها هذه المجموعة « ولا يعني في الختام أن انتح أسويك العربي السهل اللطيف ، لكنني كنت أريد بجملته ، صياغة وفي في سبيله للمجد حصر ثمة من لغة الدراما في بعض المصادرات... »

اللغة في تصوير الواقع ... : من مؤايا القمصاني البارح أنه يعني لك ما رآه وصفا مبنيا على الرؤية والمناظرة ، لا على الاستمحاء والمذاكرة ، والقصاص هنا مثل الرحالة ، لا يهود وصلة إلى الأنا كان نتيجة معاناة وجيزة رؤيته . وبطيل اليك ولدت تسع إلى الرحالة النافل لا الواصف وصف الشاهد ، أنه يستمع إلى شيء لا حسياسة فيه ، ولا حسي ، ولا حركة . أن صور القصاص حين تكون وصفها حقيقيا لا رآه عيناه ، تكون أكثر تأثيرا في النفس ، وأقرب إنداء إلى الواقع ، وأكثر إمانة في النقل . ولا شك أنك تعجب يوسف طاهر لاشين فصالة الحكمة التشريعية قائلا « كانت صالة المحكمصة التشريعية في ذلك اليوم ، متلها في كل يوم ... فاصة بزجاتها الكرام وغير الكرام ، بين شاء وشاكية ، وبالك وبماكية ... نذج غلاق درسا بامراه ، وامراه شافت درسا بزوجه ، ومعلقة تريد تروى ، ومطيق يريد استرداد ولده ، وما إلى ذلك من أشكال التشكلات الزوجية ، والوان ولانينا العائلية . ولإغرافية السباحة من هذا الجمع العاشد من مثالة الأقوم ، وأهل الطبقة الغنيا من سكان هذا البلد ، حيث الجهاالة والجمالة ، وحيث نفاقل سلطان القتل ، واستئصال أمر الشهوة ... » . أما وصفه « بيت الطاعة » فهو صورة حسياسة تائبة لظفر من مظاهر سلمة حرص المصلحون على مكافحتها بمسما تعلمه من مثاد ، ولتمتد ، وتطدب بعيد من الدين ، الأقراء وهو يقول في تصوير بيت الطاعة الذي حكم على نعيمة بأن تسكته ... » ودخت نعيمة بيت الطاعة ، وأنه لنزل صكير حثير في إحدى الحواري ... فيه غرفة متوسمة المساحة ، لها نافذتان تطلان على الحارة ، مسمر شيشهما مسمرا ، فلهما أحد الصدر كل الصدر إذا لم يمسما لراس أن نذل منهما ، وليس لأحد عذر من أن يتهمهما بعدم أداء واجبهما من حيث إدخال الثور والهراد ... وفي الغرفة سرير نسي بوصة ، وفيها دولاب نسي صر ، على هذا إيسط الفراش ، وفي ذلك إيسط الألبس... وعلى الخائط مائة ما يزال باستقامة للتحقق بالحق أن يتبين فيهما

معارف وجهه ، وعلى الأرض بساط ما يزال باستقامة أقراء أن يجسد فيه مواقع لقدمه .. تلك هي غرفة النسيمة ... »

الواقعية وتصوير الكائن : لقد كان محمود طاهر لاشين من السابقين إلى التطنص من الزعة الرومانسية الخيالية في اللغة المصرية ، وهو في هذا يعد سائرا إلى الدرب الذي سار عليه طاهر حقيقي ، ومحمد نيجور ، وعيسى عبيد ، وشحاتة عبيد ، وحسين هيكل ... لقد ضاقت الناس بزعة الخيال ، وخاصة فيما عربه الناطولي واستند فيه من الدعوى ما كان الزمن كليا يوقف زياده ... وأصبح تصوير الواقع كما هو غاية القصاص الحديث ...

القاهرة

محمد عبد الفتي حسن

بحوث أدبية

تاكيف عبد الصاحب شكر - دراسة وتقد - 160 صفحة - مطبعة المنار ببنسداد

لعود كثير من الكتاب والشعراء الوفوف طويلا على أبواب اصحاب القدمات من أجل الحصول على اسطر يديجها برباع النافذة المههم والميميري القندام بمسما هو فائقة ويطلق عليها بفره اسم مقدمة من باب التبريد أو التجملة ومثل هؤلاء الكتاب كمثل من يتوكان على عصا وهو يسير في درب شائك طويل بينما تعوزه الجفرا ويعطونه الأقدام لسير بفره في هذا الدرب ... ولله در الأوائل فقد وصلنا كتبه خاليد من ميمعات أمثال هؤلاء الفرسان على تعاف الأيام والأزمان ، على هذه اللامعة القوية المنيعة في أسامي من التجملة وحفظ اللغات خرج الزويل بعد الصاحب شكر في كتابه بحوث الأدبية كعادة من تار بهم ليقيمهم بنسبه لثقة التامة بها ويضعه بين أيدي القراء نوحيا للثق شعما بلال وأن يكون بين الكتب الأدبية لا أن يتوسلها كما يقول في مقدمته .

بسم الكتاب بين فتيه دراسات لطافة من الشعراء والكتاب من ذوي الشأن في حياة الأدب تبدأ بابي تمام وننتهي بمصطفى صمدل الرافعي إلى جانب دراسات أخرى في الجمال خالق الزول والشبيب في منظار الأدب والشعر العر والمحد . ومن هذه الطائفة التي نحسن بصمها : البحري والفتني ومعلم وابن دريد وابن حزم والعقيلي من المتقنين وعزوف الرافعي ومحمد رضا الشبيبي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وفوزي الطوف ومصطفى جواد من العصر المعاصر . أن إبعث الكتاب أسوتات العناصر الأثمة لا سيما البحث الذي يتلق بابي تمام .. أما من ناحية طيعة الشاعر فتاني على خط مياين مع المؤلف ذهب إليه من أن أبا تمام « كان شيعه أمرا مشهورا » لجبرد قولوه :

جعلت هواي الناطميين زلفة إلى خالقي ما دمت أو دام في صر كان الشاعر منتلا في أرجاء البلاد الواسعة يمدح هذا ويهجو ذاك على عادة أمثاله آنذاك حتى استقر به المقام مدبرا للبريد في الرصالة مدة سنتين ثم وأفاه الأجل فيها ومعه يتأخر الأديبين وكان خلال هذه السنين في هذه مكتوف وسافر للبلد بن على الخزامي الشاعر المعروف بشيعة لال البيت عليهم السلام وتوضيحت وعلااته الصاب من ديالات البلاط العباسي وهو صاحب القول المروء : « لي خسون ستة أحمل خشيتي على كتي أدور على من يصيطني فيها لما أجد من يضل ذلك » ؟ لراية الحر في مقارفة القصوم وانتقاد بعدم احتية الولاة بالحكم .

أعده ان المؤلف نفسه صاحب بهذا الشأن لان ذكره يدور فسي
أعنه لتسمع الآن الى قول المعلق الجليل الأستاذ عبد الصاحب
النجي : « نافي ديل ابا تمام وكان ابو تمام صديق علي بن الجهم
الفاي بنه وعملته لال البيت: ديوان ديل تحقيق العجلي: صيغة ٧٦
لقد كان هذا النافي ظاهراً على لسان كل منهما وكله موجود ومعمل
في كتب الأدب وليس من القتلون ان يكون ابو تمام مستقيماً معصياً
مستمراً في تناقصه هذا مع راس شعراء آل البيت في زمانه وان وجود
بيت واحد من الشعر في ديوانه الكبير لا ينهي دليلاً او لا يقيم حجة
على آليات عقيدة الشاعر في وقت تغارب فيه التيارات العقائدية
والأفراض الشخصية والصالح الفردية التي كانت سبباً من أسباب
تدهور الدولة العباسية فيما بعد . اما بصد ما ذهب اليه بروكلمان
في كتابه تاريخ الأدب العربي وقوله في نصرانية أبي تمام فهذا قول
يحتاج الى الأدلة القاطعة لعدم وجود الأسناد التاريخية الدامغة التي
لويده هذا التزمس .

والتي مع المؤلف بل ما صافحه بحرارة حول دراسته للشعر العر ..
هذا الهذيان المصوم الذي ما زال جالماً على طاولة التشريح حيث
تتناوله المباحث لتميل به ما تشاء دون ان يهسى او يتأمل كله فريب
من نرائنا الذي يتعمق بالطلق والإبداع .

لقد بذل المؤلف جهوداً مشكورة في اخراج كتابه بحوث أدبية دون
ان يتلقى مونة او مساعدة من لجنة تولى تصيد الشعر او غيرها من
القناع واخترق الصمت الذي ران على الطابع التي لم تتعود الا على
طبع الجرائد الاخبارية اليومية وبطانات النهضة والإذاعات

وختماً كان مامكان المؤلف الاستفادة من بعض المبررات الثقيلة أمثال
بوابيع فرود الأدب وديع بين الوكي كما كان بإمكان مراجعة بعض
الأطالاط المطبوعة . وتعيه للزعم الأستاذ عبد الصاحب شكر على هذا
الثناء الذي اتاحه لنا كتابه على صفحات الاديب الفراء ومطوعة .

الكوت - العراق **كافظم محمد حسين**

قلوب الخالدین

تأليف ابراهيم المصري - مجموعة مقالات - ١٤٤ صفحة - سلسلة
(الفراء) - مطابع دار المعارف بالقاهرة

ينبؤ الدور الكبير الذي قام به الأستاذ ابراهيم المصري في حياتنا
الثقافية والادبية المعاصرة ، برأيه للغة المصرية التخليصية ،
واهتمامه بين لغة فصيحة من كتابات مدرسة عواطف الآراء ، ومتابعته
للنتاج الثقافي الاجنبي في صوره المختلفة . وكتابته الذي صدر اخيراً
(قلوب الخالدين) يكاد يجمع هذه الاهتمامات جميعاً ..

والؤلف لا يتنصر على النص الصحيح لكلمة لوب ، فليس عمل القلب
ان يكون من فراء نصيب ، بل هو ايضاً باعث كل نشاط انساني فسي
العيش والكفاح والفن. وهذا ما عناه المصري .. ومن هنا ايضاً كان
اهداً كتابه هذا الى شيباننا ، فالتخصص المطبق من الرجال والثناء
التي تناولها ، عاشتواجبت وتطعبت وكانت في جها وعذابها وكفاحها
رمزاً للبطولة وتعاون التصفية في سبيل الفكر والادب والفلن « فالجها
الكلمة كانت قبلهم ، والسوء بها كان غايتهم ، وصديق القومية كان
سلاحهم ، واردة التلوق لانهم ولغير كانت منهم الاثني . فمن
هذه الاشارة الرائعة ذات التناقض الابدي ، يستطيع شيباننا الفاضل ان
ينسب التلوق لعلته، والحياة نقله ، والغير لشبهه وللتلن . « ص ٥٠ »

واشخص السيمة عشر التي تناولها المؤلف هي : الروائي الروسي
مكسيم جوركي ، والشاعر الروسي بوشكين ، والوسيتي الجبري
جيرار دالاف ، والمصور الفرنسي ديلاكروا ، والشاعر النمساوي
ليوبولد هالم ، والوسيتي الفرنسي جوستاف كرواسيه ، والشاعر
الروسي فيودور ميخائي ، والوسيتي الايطالي دوتيتشي ، والشاعر
البري فرديريك رالف ، والاديب الاتاني موريس هارتمان ، والروائي
النمساوي لوجوس دي زيلي ، والروائي الفرنسي بلاك ، والادبية
الفرنسية فرنواز بارتي ، والمجاهدة التشيكوسلوفاكية برتا سوتير ،
والشاعرة النمندية ماريا بوجارت ، والادبية الاتانية المجاهدة هيلين
لاتج ، والشاعرة اليابانية ايزومي شيكيو .

من خلال نظرة شاعرا القديم الذي كان يؤمن بان ما الحب الا للحب
الاول ، يختار ابراهيم المصري زاوية في الحديث بن عدد غير قليل
من الشخصيات التي انتقها ، مثل ليوبلد هالم ، وجوستاف كرواسيه ،
ولوجوس دي زيلي ، وفرديريك رالف ، والاخير شاعر مجري تسرد
ديواناً واحداً ، انتهت حياته بمأساة كان نتاجها خمس عشرة سنة
عقوبة في السجن وهذا الديوان ! فقد كان فرديريك شاعر قروياً صاحب
ريفة حسنة اظنت عليها شباب آخر خضعها ، ففرغت على فرديريك
ان ينثر لها منه على ان تزوجه . وجن شاعراً فرياً ووهماً ان يتبنس
ظفها ايضاً ، فتمتغل الفريوم وجاء بهظنا بالنيا ، وجمعا قد قتل
وليدها ! واكثر من ذلك نكرت لجه ، فالعظما يمتينها وابنها !

ولقد حاول الكاتب الكبير الا يكرر نموذج واحد ، ولذلك جيات
فصوله مفرها رائحة بارعة لتمازج بشرة يتسم كل منها بلون خاص ،
مثل شخصية برتا سوتير ، وهي فتاة تشيكوسلوفاكية - ولدت في مدينة
براج عام ١٨٤٣ - مرحلة الحب ، عشوية التصور ، عقيمة الشعور
بالأم القير . انتهى بها حبا لظامة كتب التاريخ الى بعض العنصر
والثروة على كلفتها المكفوة ، فقد حالها الوفود الاتاني والعنصر
الهائل الذي يفسر به البشرية في هذا السبيل . واشغلت علس
الانسان وحسرة في كل مكان ، فتعلبت عذاباً هائلاً حتى لم تكن تستطيع
ان تلوق هم التوم احياناً كثيرة . وكانت برتا تحب سابطاً في العرس
الامبراطوري النمساوي ، يؤمن بان العرب فريزة السائية وحسرة
حضرارية ووسيلة استعمارية حمية كريد من الاستعمار الأوروبي على
اراضي جديدة . فعندما وجد فتاته على هذا النحو طلع كل صله لها بها
وخطبت فتاة أخرى . لم تتابع الأحداث ، تنشر برتا كتابها الاول المعروف
« فصول السلاح » فيحدث دوياً منقطع النغمر في دوائ الساسة واهل
الفكر ، ويسمى اليها عدد كبير من زعماء الاحزاب الاشتراكية ، وينزل
بها الفرد نوبل صاحب الجوائز ، وتصبح الفتاة اول امرأة
في أوروبا حطت رءاه السلام . هنا يعود اليها حبها القائد الكونست
كنكي مستقلاً نادماً ، ولكي لتسوق من حبه وإيمانه برسائنها تطلب
اليه ان يسع لزوجها المكافاة كلها في خدمة ميادها، وعلل ، ويتزوجان ..
ولكن الرجل بعد قليل يتعود على وصفه ويسوءه الا تتلوع برتا التي
حصلت على جائزة نوبل للسلام في هذه الاثناء - عام ١٩٠٥ - بينس
جدران بيتها ، فيعب النزاع بينهما الذي يقضي الى القتل . وهال
المرأة ان تلحن في قلبها وان تلحن بالجد تم نكاح الحب . فسل قلها
وتنوش لدهنا ، ولقت اشهر طوية تعيش في شبه بقلعة مغيفة بعد
حلم رابع . لكنها استجبت لرادتها ونفست منها عسلها وماتت الى
حمل رسالتها ، وكان اول ما فعلته مباركة القران الجديد لزوجهها
القادر ، لم عفت غير نائمة او اسلة او متصرة تنظر جها عسا
مفرها وتعمل راية الحق والعدل والحرة والسلام .

وفي هذا المجال ايضاً نجد لصة موريس هاريمان ، وهو احد كبار
ادباء الاتاني في القرن التاسع عشر ، الذي كان يسمع العقل فسوق
القلب والاتانية فوق الايتار والقوة فوق العدل ، فحرم زوجته مسمن

إنهما لأن اعتماهما بوليدهما منقطع من حقه في حب أمهاته كلسه ! ونور الأم ونهر سطرها وسط الرياح والاعطار في أحدى الجبالى ، وعندما يبرى الطفل ويموت يترك الأديب مقدار جناحه وانه لم يكن أبدا إنسانا ، وبدأ تحول من لطفته القاسية ..

ومن أجل فصول الكتاب « في مهب النثر » الذي يتناول حادثة كان لها أكبر الأثر في توجيه حياة الموسيقار الجري النحوي جيسار سيابستان رالف . فرغم انه اقترن بأمرأة تركت زوجها الثرى وابنتهما لتلحق به ، إلا انه اكتشف بعد الزواج انثائتها وغيرةا من الفن الذي يتنافسها في قلبه . فتكاثبت عليه وحاصره بين لذاتها وغيرةا في حبها وهو يعادل عينا أن يلاوم . حتى مرت ثلاث سنوات كسلات تولد فيها انتاجه لهما ! ثم لحق بصرعه مامل جديد ، هو جراسيما ابنة زوجته . لقد دفعت على التزلزل لسفر والدها الى خارج البلاد ، ومن اليوم الأول احس ان وجود الطفرة الصغيرة الزيفة اهدم بقوة جديدة . ونشا بين الاثنين مودة وعاطف وهب .. لا حب الاكسرس والذى ، بل حب الصديقين المتوازيين . وهكذا تاجر بنرجع امره مرة اخرى في اماله واخذ يؤلف من جديد . ولكن امراته لم تهم واشتدت بها الغيرة وعولت على ان تحرق مسودة انتاجه الجديد ، وهددت كل من يعتمة بالطلاق الرصاص عليه ، وتقدمت الابنة من امها تحاول انقاذ المسودة من نثار المذبذبة . ولكن الام الهالجة لا تبا وتطلق المسودة على قلعة كبدى ! ويلعب المحر دورا كبيرا فلا تصاب الفتاة في مقتل ، وتوثر الزوجة الى رشدها ، وتستمع الى نصيحة ابنتها في تغيير أسلوب ملائمتها بالزوج الفنان !

ويبرى لنا المؤلف من خلال فراق عميق لكسبي جوري ، ابعاد تجربة فاسية مرت به في شبابه فعولت تفكيره وجهة اخرى مختلفة تماما بالنسبة لهما بعد تاسيم منهج ادبي . في مطلع حياته كان والدها يحب سيطرة عالمي تولستوي ونيتشه معا ، كان أقرب بيطيته الى الاول ويصوح شبابه المتأثر الى الثاني . ولدت الفتاة لتعاليم تبتتت بها اثره عميق عليه القوة والاستملاء . وكانت الفتاة ابنة فروي غلى ، امرأة اخص ريادة المصور بريتة الوطوف ، اجتهت كما احبها . وانتدب فلسطين لتعاليم الفيلسوف الالائي الى هذا الفراق ايضا ، بل لمل هذه التعاليم سمت اليه متمعة تريد ان تلو حنينة ايمان جوري بها . وهكذا تحول أسلوب جوري في الاستحواذ على ليزا سوكولوف من مجرد احتلال قلبها الى حبها في قالب الانكار اللبثية ! فلماذا كيف بقو قلبها على الغير وتسخر من الضمضاء وتردي الفلاحيين وترفع على الفسقراء ، وتحت ناكسرس الشيق وارضاه العيب تجرعت الفتاة . وعندما تم هذا التحول وتجسد النموذج ، استهول جوري ما صنع واستبشع ما فعل . فقد أصبحت ليزا مخلوقا فاسيا صامرا جالسا لا تكد تنتمي الى الجنس الناعم . فحاول ان يصلح ما الفسد ، ولكن كل شيء كان قد انتهى ، ورفضت ليزا ان تكون العوبة في يد صاحبها ، يوحي اليها ويشير عليها اليوم بما ينقصه في الفن . وعندما فشلت محاولته هرب منها ، فاضطرت ان تدخل الدبر ياتيه .

وتاسم أسلوب ابراهيم المصري كالمهد به دائما بالتأطيل المعصوي والتعجيب الدقيق وتعبيد الكلام وإبرازها بصورة شديدة الوضوح . ولعل أدروع القصص الوسيطة ، تتألفه تشخيصية الرسام العبقري الرومانتيكي ديلاكروا ، الذي احب في مطلع شبابه - بعد طول بحث - ماري لويز بوليه ، وهي مدرسة فروسية ساحرة وجد فيها مثله الاطلى في حواء . « امرأة سامية القلب والروح ، جميلة وقلية ، ذكسية وطاهرة ، مثقفة وطيبة ، تحب التسب كما يحب هو ، وتبذل في سبيل ناصي معروف خلاصة فكرها وعصرها قلبها . ولكن الفتاة احبته روحا لا جسدا ولذلك علما طالها بالزوج » رفضت . ويصمم الرسام التناشيه صمعة معينة ، ويسوع منه في التساء جديما وتنهمن

بالفخانة ، ولا يتلقى حزنه ابدا . فالجرح غائر لا يندمل حتى وهو يستمتع بالمشهرة العريضة التي واتته بعد ذلك ، فروحته تهب دائما الى التلال التي حرم منه . ونشأة الصادقات ان يلتقي به على صورة اكمل وابرج في شخصية اخرى هي .. جوزفين دى لافاليت ، التي احب فيها صاحبته القديمة . ومن هنا نجحت مسالمة التي هدمت حياته . ولقد استطاع المؤلف بدفة رائعة ان يجر من ترقى دلا كسروا بين الكرايين ، وان يبعد انتهاء الرسام الى اي من الكرايين .. « احبها لذاتها واحبها لبقعة ماضيه الجيد فيها . ولكن ذاتها المستقلة لم تكن لتتأثره بقدر ما كان يأسره ذلك الماضي القبيح العزيز المثل فيها . وسافته ذكرى ماري لويز الى الاتصال بجوزفين ، فاجتته المرأة وهي لا تدري انه انما يحب فيها روح شبابه وصورة ماضيه ، ورفيته الخفية في التائر تنفسه من ذلك الماضي الذي خضعه ، وفرد به ، وسامه في مطلع حياته شر غروب المذاب .. على انه مع ذلك احب جوزفين . احبها قلبا وابغضا بيطاله . احبها بخاصة وابغضا بماغيه . احبها ببطية لقلبه ولتته ابغضا ، وطبعا ، وتكل بها بقوة الانسان الكبير الاتاني الطوقد الواور الذي زين له حقله ان يتأثر من خيال تلكسرس ومات ، في مخلوق بريء مسكين يفتلج حبا واملا وتعلقا الى الحياة ! (ص ٢٧)

وتتميز (غلوب الخالدين) بسمات معينة بارزة ، السمة الاولى ، ان الصب ليس نزوة طرقة تنتهي بالاستمتاع الرخيص بها ، بل هو حدث فسيح يجر عادي يترك الؤده المعينة الباقية في نفس صاحبها ، ويطلع صلحة جديدة في حياته ايضا . ويعرفى المؤلف الوثنا مسمن الحب الصادق القيم الذي لا تشوبه شائبة من تردد أو ضعف ، ويتأمل بقوة وتصميم كل العوامل التي تزيد الصلادة . كما في الفصول التي تتألف من حيات من حيوات ، الؤده المعينة الباقية في نفس صاحبها ، وفرتوآ دي فوالبيل ، وغيلين لانج ، رغم اختلاف شخصيات اصحابها كل حين الاصولي .

والثدين عنصر رئيسي في كثير من شخصس مؤلف ابراهيم المصري ، وصلة بارزة فيها ، يلم منه سولوها ويعكسه موفاتها ، وهو احيانا يكون الرا من آثار الؤرواة كما في « التجربة الفاصلة » من حياة جوري ، فليزا ابنة رجل قلبي ، وهذه التلوى كانت احدى العوامل المساعدة في دخولها الدبر في النهاية بعد فشلها في حب جوري . والتدبسن لا تقتصر على كون من الناس دون آخر ، ويرفون ان يتخذ في صورة تقليدية كان ينسحق مثلا بإبناء البيوتات او ما يطلق عليهم الناسا الحترمين : فالتدبن اذن تما للاحوال الناسا وظروفهم الكثيرة التصدد والطبحة الاختلاف وخاصة في الغرب الذي يفرق بين الدين والحياة ، فيسعى ما لتقيصر وما لله لله ، لا يدعج مسلك صاحبه الخارجي بل يتربس احيانا كثيرة في اصفاه وداخله . كما باللبسية الى شخصية روزا الخالوتنا بنت القليل التي احبت بوشكين !

وتتبع السمة الثالثة في هذه الفصول من ان كاتبنا الكبير لا يزال يتابع طريقه القديم - كتجنية حتمية لاتصاله الدائم المستمر بالتألفه الاجنبية - الذي لم يتحول عنه كما فعل غيره من ابناء جيله ، فسي تقديم الجديد والتعريف بالشخصيات الانبوية والفنية العالمية ليسر الحروفه لسواد الاطام من القراء المصريين . وهكذا يضم « لسلوب الخالدين » الكثير من هذه الشخصيات في مختلف مجالات النشاط الفكرى والفلسفى .

هذه هي الخطوط العامة لكتاب ابراهيم المصري ، ولا شك ان القارئ قد قضى وقتا طويلا في صحة فئانه الكبير .

المختصرة - ج.ع-٢٠ علاء الدين وحيد

في كلمات...

مجهرية هي الاشتباكات . وعندما تثار الخلية تنتشر شحنة كهربائية فيها وهي التهايسة الاسطوانية . وهي تصل الى الاشتباكات حيث تنصف . وتندفع من مكانها في التهايسة الاسطوانية شحنة كريات صغيرة مع مادة خاصة في الوسيط . وتنتج الكريات ويصل الوسيط الى غشاء الخلية الثانية الاشتباكية و « يترقب » (يزيل استقطابه) أي يرسل شحنته الكهربائية . ويحدث اندفع موجبة الأتارة الى ابعده . وتشكل الوسيطات اندريائين ونورادريائين ودوفاميسين وسيرودونين) من الناحية الكيميائية مما يسمى بالامينات المؤلفة للحياء . وهذه المواد تسون ارتباط خلايا الدماغ فيما بينها وتنبط نشاط الجسم ولا سيما القدد العصاء فيه . وخلال حالات الانفصال او القسقى او الاضطراب او النزوع الى الامتداء يزداد انقلا الوسيطات في الدماغ . فخلال العمل الكري الكثيف وكذلك خلال الاضطراب يمتد الاندريائين ، مثلا . و يمتد التورادريائين خلال الأتارة والفلب والنزعة الى الامتداء . واما الدوفاميس فيحتل النشاط الحركي كما وان السيروتونين لا سيما التورادريائين كما « يحددان » نشاط جميع خلايا الدماغ . ان كل عمل للدماغ « البالغ التعقيد » من أبسط الأعمال المتكئة المشروطة حتى الفكر الجرد ، يرتبط بمتصادم الوسيطات في اشتباكات العصبونات .

والخلايا هي التي تنسوس تريسيبب الوسيطات وتطغها في الدماغ . واهم هذه الخلايا هي الـ « مونوامينوكسيداز » . وبماكانا بتأثيرها في هذه الخلايا ان تنوي كمية الامينات في الدماغ وان توجه بالتالي ، الى حد ما ، نشاط الإنسان ، النفسي . وزكب العبدليون ، بناء على طلب الجباء الامراض العقلية ، مواد نصف مضبوط الف « مونوامينوكسيداز » الى حد كبير . واحدى هذه المواد هو الـ « ايرازيد » ، اعتمد في عيادات الامراض العقلية لمكافحة الاقيار العصبي . معلوم ان هذا المرض يتجلى بانهيار عام ، بعدم مبالاة ، اذ تنخلش الحركية وينشأ الخلق . وهذا كله مرده الى انخفاض الوسيطات في الدماغ . وخلال ادخال الايرازيد او مخمل اخر من المخلات المونوامينوكسيدازية يتوقف انحلال الامينات - الوسيطات وينتد النشاط النفسي ويتحسن المزاج وينشأ التمسك بالحركات . ويستعيد الرضى الثقة بشغله ويقبوء .

ان استخدام المخلات احدث ثورة في معالجة النفوز (النفوز هو مرض عقلي يعرف بالباريكوز في الفرنسية) الانهياري وهو

• ورد في مقال نشره الدكتور ج. ليندز في مجلة كوسوس الالائية الطبية باسمه استدل من اختباره الفوطية على ان مرض السداد القلبي لا يعود الى طريق التغذية وحدها فقط ، بل تقوم هناك عوامل اخرى اضافية لذلك ، كالحر والسرور والارتياح وتوازن النفس الداخلي الى حد ما ، فيعمل ذلك على الوقاية من خطر الإصابة بالسداد القلبي . وقد قام المركز الطبي في اوكلاهوما

بستخدم الامن حتى في القصاص على الام القلب خلال الذبحة الصدرية وفي تخفيف غسقت الدم . فهذه الظواهر ترتبط ايضا بتأقلا الشحنتان في الاشتباكات التي تخضع لتعزز الوسيطات .

والبنت فلاديميرغوفكين في معهد الكيمياء البيولوجية والطبية لدى الاكاديمية العلوم السوفياتية ان الـ « مونوامينوكسيداز » هو خليط من الخلط التجارئة ا الجسم التجارئة) هو الجسم التي تالف جزئياته من عدد واحد من الفرات ولكن ترتيبها يختلف وهو الـ « اذوير » بالفرنسية) الشبهية الكعصبي . وتظهر كل خلية على اى انقلا وسيط . واذا كان هناك عدة خلايا صار من المحتمل امكن ايجاد مخلات تعاض هذه الخلية او للخطاطرة نوعية الشبهية . ان ذلك يمكن من توبة مستوى هذا الامن - الوسيط او ذلك دون عساي الامينات - الوسيطات الاخرى . وظهرت اعمال المختبر ان بعض المركبات التركيبية والطبيعية تعزز تأثيرا انتقاليا بخصا في اجسء الـ « مونوامينوكسيداز » . فالـ « ارمين » يكيح الخلية التي تملك الـ « سيروتونين » . واثقله يحدث عند الانسان الاضطرابات القلبية الاجل ذاتها التي يحدثها لبعض الـ « سيروتونين » . وتجرب في المختبر ان ماتت المواد التي ، بتغييرها مستوى الوسيط تغير على هذا النحو حالة المريض النفسية .

ولمست طريقة بسيطة وفعالة لتطهير الـ « مونوامينوكسيداز » تطهيرا ثوريا وحمل على مسطحات نقيه جدا . وقدم تطهير المسطر المطهر سطومات هامة لهم الية مغول الـ « مونوامينوكسيداز » ثلاث وتؤمل النتائج بان يحصل طبيب الامراض العقلية قريبا على وسائل جديدة لمكافحة الاسراض العقلية .

ليونيد كليشتورين

في الولايات المتحدة باختيار احوال الإصابة بالسداد القلبي في أربع مستعمرات مسن مستعمرات السكن ، كان يسكن احدها مهاجرون سابقون من ألمانيا ، واخسرى مهاجرون ايطاليون ، وكان سكان المستعمرات الثلاثة والزبابة مغتقلي الجناس . وقصد تبين له بان الاصابات بالسداد القلبي كانت تقل في مستعمرات السكن التي يستكسها المهاجرون الايطاليون بالرغم من انهم ولدوا في الولايات المتحدة واصبحوا من ابناها وتعودوا الى احوال العيشة فيها . ويعزى السبب هنا الى مرج الايطاليين اكثر من غيرهم وعدم ترك الهمم تسرب الى نفوسهم .

• حدثت ادارة الادوية الأمريكية النساء العاملات اللواتي يتولمن العمل من عامي ثلاثة ادوية تؤدي الى تشويه الجنين مثل التاليدوميد ، وهذه الادوية هي ، ميكليزين وسكليزين وكلوبريكليزين . وهي ادوية يوصف بعلماء حالات التشيان والدوار وبعضها للزكام وايضا الاخر لامراض العنابية .

• توصل العلماء العرب بالمركز القومي للبحوث بالقاهرة الى تخليق مركبات ذواتية جديدة من المخلات الزراعية البنت التجارب ان لها تأثيرا فعالا في وقف نمو الخلايا السرطانية . وقد ابلست عيتان من هذه الوداد الى العهد القومي الأمريكي للسرطان اجريت عليها تجارب استمرت ثلاث شهور وكانت نجاح هذه الوداد التي توصل اليها الدكتور زبده لطيف رئيس وحدة الكيمياء التخليقية بالمركز القومي للبحوث . وسيتم انتاج كمية اخرى من هذه الوداد المولدة تستخدم على حيوانات التجارب تمهيدا لتجربتها على الانسان في حالة نجاحها . ادعى محلل كيميائي في انجلترا يدعى د.س. سولدنك ان شريعة من الحميم المشوي تحتوي على ما تحتوي عليه ٧٠٠ سيجارة من جرائيم السرطان . وقال المتر سولدنك لجمعية الصحة الكمية البريطانية ان الاطعمة المدخنة تحتوي بصورة دائمة تقريبا على ازر من مادة بترينيه التي تؤدي بالسرطان . وان ارتفاع نسبة الاصابات بالسرطان في ايلندا ربما عاد الى هذا السبب .

• قالت الدكتورة روزاموند فالينغز في مقال نشرته المجلة الطبية البريطانية ان النساء اللواتي يتناولن حبوب منع الحمل يسقطن فريسة الصلع . وقالت انها لاحظت ثلاث حالات يتساقط فيها شعر المرأة التي تتناول حبوب منع الحمل ، وانه لم يكن قد مضى وقت طويل على كل حال على بدء هؤلاء النساء تنازل الحبوب .



حول تكريم البير اديب

لعلك اذا اردت التفكير في وجوه الخير ، ان تفكر بقيم واسماء متعددة : حب الناس والوطن والانسانية ، حب الفن ، وخدمة الادب، النبات والدايب ، وخدمة القيم . الاخلاص للحقيقة الجسادة على وجه الامر كله للادب ، اي للناس ، لتقدم الناس . لكذلك نستطيع ان نجد كلمة واحدة « اسما واحدا » يجمع كل هذه الوجودات الخيرة التي نذكر ، هناك اسم محبوب من جملة اسماء ، يجمعها كلها في عدسته الفسيلة العادة وهو : البير اديب .

ربما ساجد من يقول لي : طبيعي ان نحتد تكريم هذا الرجل . فهو احد اساتذتك . ولقد كان احد الرواد الأوائل لكل ما اكتشفته واجبته في صياله ، من جميل ، وهم ، وياق : حب الشعب ، وحب العروبة ، ولبنان ، لبنان - الثقافة والشعب ، وحب الفن والادب وفنهما « الروحي » والحقيقية ان البير اديب كان مع عمر فاخوري ، وعبدالله الملايكي ونقولا فياض ، والياس ابو شيكة ، وليرهم من رجال الادب الروميين ، مشرفين من منبر « الادب » ، منذ شهورها الاولى ، يسيئون في الاذواق والنفس كل امكانيات الكلمة - الشمل ، الكلمة - العمل ، الكلمة - الصوت المتأدي ، الكلمة - اليقا .

حالا لقد انتهجت تلك الدعوة الكريمة لانصاف البير اديب . انتهجت لانه احد اساتذتي الرويين . لكن هناء في لبنان ، وفي كل قطر فريسي عشرات ، بل مئات ، وربما الالوف امتالي ، من المثاليين والادباء والناس العاديين ممن يستجيبون لداعي الفداء ويظفون ولا شك مثل موافي ، اذ ان لايبير اديب اياي لا تحصى على الثقافة الفريسية المعاصرة . وقد كانت « الادب » ولا تزال مثالا لكثير مما نرى من ادواح الادب والفن في دنيا العرب ، واقراسه الشاب . فلا عجب اذا نتاجوا كثيرين مع الدعوة لتكريم هذا الانسان المخلص لكرامة الناس ، المتأثر على اصلاطهم ، من جهده ودمه وربما من فداد عائلته ، فيسم الادب وحيالات الابداع .

هذا رجل ضحي باشياء كثيرة . بامكانات القاصب والثروة والجاه المديوي السريع . وصرف الانتباه عن مواصفات وساعات ربما كانت تستسه في الصميم كرجل شهم ، لكنها كانت سترهه ، كما رفضت سواء ، كثيرين سواء ، الى مراتب الثروة والنفوذ والجاه ، ممن تنازلوا امام سلاطين المال وقياسرة الكذب والدجل ، لكن البير اديب كما يعلم الجميع ، فضل الانتكاف في محراب الادب والخدمة ، فضل العمل الصامت ، الدائب ، المتأثر الصابر ، من اجل مجلته «الاديب» التي يبعدها من دمائه واحشائه ، زيتا لصباح الادب ، ومن اجل كل ما نحيه ، ويحبه اللبنانيون والعرب، من قيم الادب والفن والاخلاق. ان الاساطير الادبية التي تتناثر اليوم لتكريم البير اديب على عهله الكويل ، الدائب البطولي ، في اصدار مجلته « الادب » انما تقوم بعمل موفق ، يلاقى تايد جميع كتلفين وجميع الفئات الواسية والثقافية اللبنانية والعربية والهجرية والاستشرافية ، وكل مصعب للفتح الانساني والاتصال بين الشعوب ، وكل متطلع الى استكمال الحياة البشرية بعبادات الادب والفنون ، بخدمة « حياة الحياة » كما قال احد الناس مرفقا الادب .

ولكن ليسمح لي بقول كلمة صريحة في الموضوع ، اساسا ونفسيا ، فلذا كان القصد بالدعوة لتكريم الرجل ، وعلمه ، ومجلته ، هو مجرد كتابة مقالات التثناء والاطراء ، ونشر زيود الحجة والتقدير على حسن الاستاذ البير - وهو شيء جميل بحد ذاته ، ولا خلاف عليه - الا ان المصروف ان

هذه المهمة قد تحققت في الواقع . اذ ان لايبير اديب ، في قلب كل مثقف لبناني وعربي ، وقلب كل مستشرق يحب تراث العرب ويعمل لجلاء قيمه وتعميق مدلولاته ، ان في قلب كل انسان يهتم بالادب ، اي بتقدم الانسان ، راية مفسية لايبير اديب ، وامثال البير اديب .

لهم هو ان تتمكن الاساطير والشخصيات الداعية لتكريم الرجل من تقديم خدمة حقيقية لرسالته التي فصحى وما زال يسعي بالنفالي والرخيص من اجلها ، طوال خسة وشرين عاما ، والهم هو ان تتمكن هذه الاساطير من لفت نظر الحكومة والدولة الى دعم مؤسسة كمجلة « الادب » ، ما زالت تصعد بجوهر مجهود منشئها وحده ، ناكث من طامه ، وتلبس من ثيابه وتصعد اول كل شهر نشيطة معافة ، ومنشؤها معبد متعب ، يعاني ما يعانيه من شظف العيش ، وعذابات الجهد الصامد .

وتجمع الاساطير الادبية في لبنان على ان تصاف مجلة « الادب » وصاحبها ، بوسائل الانصاف التي تحسنها ، احيانا وزارات التربية والاثاء والغارجية ، حينما تريد نحو بعض المجلات والطبوعات ، سيكون في الوقت نفسه ، توليفا لعلاقات ثقافية على عدد لا يحصى من ابداء العرب ، في البلدان العربية الشقيقة ، وفي بلدان المهجر ، داب صاحب مجلة « الادب » على ممارسة هذا الواجب وحده تقريبا حتى الان ، لتوليق الروابط الثقافية والادبية ، وكذلك مع الاساطير الاستشرافية التي يعرف مجلة الادب كما تعرف نفسها واصحابها . وانا لا احسب الرجل ، من القوة ، وصدقة ولا « شوفة خاطر » بل اطالب بتحقيق واجب وطني ولفاني هو من اول واجبات الحكومة ، ووزارة التربية و «الفنون الجميلة » في هذا البلد ، وهو دعم مؤسسة ثقافية واسعة الانتشار ، ولا خلاف على قيمتها او دورها الثقافي والادبي ، مؤسسة حملت اسم لبنان طوال ربع قرن ، الى جميع الافكار ، وما تزال . لكن تكريم البير اديب ، التكريم الصحيح الواقفي ، اي المسادي والحوي ، سيكون اعادة الثقة الى الناس بقيم الفداء والوطنية والثقافة . هذه القيم التي ما عدنا نراها احيانا الا كما ترى شمس الشتاء مفسية بكافة من وراء الغيوم .

جريدة « النداء »

محمد العيتاني

متهاجي كمؤرخ في النظر الى العمل الادبي

التاريخ كالفلسفة ودراسة اللغة فرع من الادب . وبين التاريخ والادب البحث صلات كثيرة ولها التحليل وريث اجزاء الموضوع بعضها بعض . فطالبا التأويل في اوربوا عند معالجة اي موضوع تاريخي او ادبي من موضوعات (الانشاء) - او ما يسمى بالافرنجية Composition ، يعمل على ايجاد وحدة متعاسكة في الموضوع المؤلف من عناصر مختلفة . وممارسة الكتابة في الموضوع على هذا الاساس لا توجد عندي لا في المدارس الثانوية ، ولا في المدارس العالية والجامعات . ومن اجل ذلك لا تتوافر عندي ثقافة تاريخية او فكرة صحيحة عن التاريخ والتهاج

التاريخي . وقل ان نرى لكبار مؤلفينا وكتابتنا كتابا او بحثا ادبيا او تاريخيا متسق العناصر سليم البنيان يشد بصله بعضا . وقد بدأتنا نرى « الحكمة » او الوحدة في بعض القصائد والروايات ولكننا مساهرتا بعددين عن الغاية .

وقد قرأت اخيرا فضلا لحد افضل كتابتنا عنوانه « فن التراجم .. واعدافا سيد درويش » جاء فيه ان : الجدل الذي احتمد حصول الحظاظ الاذاعي للسلسلة التي قدمها الأستاذ زكريا الحجازي عمن سيد درويش ، وتلك المبادرة الصارخة من جانب الداعين الى الحافظة على ذكرى سيد درويش وتراثه ، يثيران قضية ارتباط الفنان بالحقائق الشخصية لحياة الأشخاص ... هناك بداية فرق جوهري بين الفنان الذي يكتب ترجمة حياة شخصيته ... والمؤرخ الباحث الذي يسجل وفلانس حياة صاحبه .

ان الكتاب او (الفنان) يجب ان يكون مقاما يعطى الموضوع مسن الناحية التاريخية اماما تاما وبالنتائج التاريخية في الوقت نفسه . وما يوسف له ان الكثيرين يجعلون ان للتاريخ ناحية فنية عظيمة تتجلى في كتابات المؤرخين الموهوبين ، وذلك في طريقة عرض الوقائع وسردها مع الايجاز والوضوح ، وتجاوز عناصر الموضوع تجارب الانعام فسي قطعة موسيقية عالية . ومن ثل ذلك التجارب الرائعة بمناجاة عند وفيلسوف اليك ان المؤرخ قد رتب وصفه وادفع واجله مقدما عند وصف (نصيبه) كما يصنع المهندس حين يرسم الجزئيات والتكليات تفصيلا قبل التسرع في البناء . والواقع ان المؤرخ ينطلق مع المهندس فسي دراسة الخطوط الاساسية لبنائه مقدما ولكنه يختلف عنه في وضع التفاصيل الدقيقة التي ياتي انكارها علوا من طريق الالهام اتناء التنفيذ ، وهي تفاصيل لا حصر لها ، ولا يظن اليها الا للغير المتألق .

فالتاريخ اذن علم وفن بعمله . ومن السهل ابراز عمل فني جليل في اطار تاريخي صحيح . ولشد ما اعجبنا كاتب المقال الشار اليه حين قال : « يروي اميل لودفيج صاحب الترجمة الشهيرة عن حياة نابليون الكثير من الجوانب الخافية والواقف التي لا ذكر لها فيما عرف من تاريخه .. وكلها جوانب ومواقف قد يستحيل على اعلم المؤرخين اكتشافها مهما توافرت لهم الحقائق الثابتة عنها » وهذا تعاضا هو الفرق بين عمل المؤرخ ومهمة المترجم ... الاخير هو المكشف الموجود لحقائق الشخصية التي يكتب عنها .

ولو كانت عند كاتبنا ثقافة تاريخية لما كتب ما كتب . اني اصرف لودفيج التاريخية وقد زارني ، وقت ان كنت اعمل في جنيف في سنة ١٩٢٥ ، واعلمني على تجارب كتاب له عن النيل بالاقاينة . فصقت من كل بعض اخطائه . كتب مثلا انه عند رحيل كرومر من مصر معزولا في سنة ١٩٠٨ كان الفلاحون يصرعون الى الله بكافهم ان يعيده اليهم ويتحسرون على ايامه .. قلت : ألم تسمع عن سنشواي ؟ قال : لا . قلت : ما مصادره ؟ قال : كتاب كرومر « مصر الحديثة » وكتاب ملتر « انجلترا في مصر » .. فشرحت له عندئذ مأساة سنشواي ، فادخل تعديل فيما كتب ، واصبح بعض اخطائه ، واراد ان يشير الى ذلك في المقدمة فيمنعت من ذلك بالبيع ، لان كل ما يهم المؤرخ هو ذكر الحقائق .

وفي استطاعة الروائي ان يكون مونا للمؤرخ عند تصوير الشخصيات والمجتمع في عصره كما فعل بزراد مثلا ، او كما فعل الصحفي والقصاص المدون آيو ، في كتاب « الفلاح » الذي صور فيه حالة الفلاح بدقة متزعة عن كل شيعة . ويتجلى فن آيو - لا في تزويق الحقائق - بل في اظهار صورة حقيقي واقع الحياة ، لا نقصان فيها ولا زيادة ، تبدو ملائمتها في لتايا حوار رائع .

والنتائج التاريخية او العلمي قد طبق في عبق وسعة في دراسة الشخصيات الادبية وتاريخ الادب في فرنسا منذ اوائل القرن التاسع عشر . فتوجد عن الشخصية الواحدة دراسات وابحاث عجيبة ممتدة

لا حصر لها . وقد نيت مثلا ان لامرئين يخطئ في تاريخ بعض قصائده كما انه ينحرف عن الحقيقة احيانا في وصف الاماكن التي عاش فيها او مر بها في رحلاته ، ووصف الحوادث التي يروي تفاصيلها . على اني اذكر انه قد يولغ في تطبيق النهج العلمي او التاريخي في الادب حتى ان احد كبار الادباء الفرنسيين وضع دراسة خاصة عن الصلة بين لامرئين ودمام شارل التي تعرف بها على شواطئ بحيرة « آكس ليبان » ، وبداها الحب ، وتلك فيها قصيدة « البعيرة » الشهيرة بعد موتها ، وهي مريئة من اكبر مرثي الحب والنعيم الرثائل فسي تاريخ الادب الانساني . ومثل ذلك انكار وجود شكسبير . كل ذلك يناق بنا عن جوهر النهج العلمي وجوهر الموضوع وينحدر بنا في تفاصيل ومساك جانبية متشعبة يسل فيها القلب ويغار لانها لا تنفسي الى طريق مبع . واذا كانت هناك قلة من آبيات شكسبير مشكوك في نسبها فان هذا لا يمنع ان اعمل شكسبير في مجموعها لتعمل طابع غيرته وشخصيته . وهذا امر القيس ، قال لي صديقي العالم الادب الدكتور طه حسين ذات مرة ، انه لا يوجد له الا آبيات قلائل صحيحة النسب وهي في معظمها ، فكان ردي عليه ان له عشرات من القصائد ومئات من الآيات التي تدل على غيرية جبارة . وقد نسبت البحري وفرجيل وهوميروس آبيات ليست لهم ولكن ذلك لا يفسد من غيرتهم مثقال ذرة . والواقع ان النهج العلمي الادبي لا ينسب فقط على تحقيق نسب الشعر ومساكنه فحسب ، ولكنه ينسب ايضا ، وقيل كل شيء ، واما دراسة شخصية الشاعر عن شعره ، وادمان النظر في ذلك الشعر والتحقق في دراسته . ولكن ذلك الامعان او التعمق ، ان لم نسانده الوحيية والقدرة على التذوق ، فلا جدوى منه .

وقد كنت شغوفنا بقراءة الشعر ودراسة الادب منذ الشباب واصدرت كتاب « شعراء مصر » في جزأين (١٩١٠ - ١٩١٢) وانا طالب في التعليم الثانوي . وكنت اشترت اثناء الفترات القصيرة في صفحتي الكبرى كاتولوا والمؤيد والاعرام والعريفة . فلما سافرت الى باريس وسمي بكتابتي الادبية تولفت في السنة الاولى (١٩١٢ - ١٩١٣) لمراسة الادب الفرنسي ووقع رسالة عن لامرئين . ثم اتجهت بعد ذلك الى التخصيص في التاريخ . ومن حسن الحظ في ذلك الوقت ان السياسات كانت تشمل ، الى جانب مادة اللاتينية ومواد التاريخ ، مادة اختيارية ، هي مادة الادب ، وان جامعة السربون كانت تضم اكبر اساندة التاريخ والادب في اوروبا .

كنت في البداية استعمل التاريخ بسبب سوء استعدادي له بعد دراساتي العميقة في مصر . ولكني بعد اغمالي فيه ، وتصعدي في الناحية المتشعبة منه ، ناهية الفن والعلم الصحيح ، اصبحت مولعا به . وكنت اذ كنت اخطا ، مع كثر السنين ، ازددت به عشقا وكلفا .

والواقع ان الادب العربي احوج الاداب عموما الى مؤرخين ادباء يعتقدون بعين النقد ، ويحققون اسماء الابداء الكثيرة الواقعة فسي الجزيرة العربية ، وهي التي يرد ذكرها في الشعر العربي . ولقد نشرت مجلة « الفللة الزيت » بعض التحقيقات القيمة في هذه الناحية وكنا نود السير فيها واستكشافها قدر المستطاع . وصحبنا ان نذكر ان الاجاب وحدهم اتفردوا الى الان بأشغال هذه التحقيقات التاريخية الجغرافية الادبية بفعل دراساتهم على المكان ، ورحلاتهم العلمية في ارض الجزيرة . وخطر امثال هذه البحوث بالذنبية لشعر العربي ودراسته لا يبقني لها احد . وداما مثلا اخر فيما يتعلق بتاريخ الشعر نفسه : حين درست البحري واصدرت عنه كتابا في سلسلة « الثوامة » في سنة ١٩٢٦ ، تبين لي ان له نحو اربعة الاف بيت من الشعر لم يسبق نقراها ، وقد نشرتها بذاتها في اتداء دراستي . كما تبين لي - وهذا في نظري اهم - ان نشره الطبع ، وبعض آبيات من اشهر قصائده التي يتدارسها كبار الادباء والنقاد منذ قرون ، تضمن اخطاء

كبيرة لم يلتفت إليها أحد . كقولها في وصف البحيرة :

نفى بساكناتها القصوى برؤيتها
من السحاب متحلا من إليها
روى البارودي هذا البيت في مختاراته بهذا المتن كما رواه جميع
من قدموه . مع أن كلمة (برؤيتها) هنا لا معنى لها وصحتها (برئتها)
يريد ، أن ماء جحلة أو البحيرة يقضي البسائين القصوى في أرجاء
البحيرة من ماء السحاب . ومن هذا كثير .

وهذا مطران نبين لي ، أثناء مطالعة الصحف القديمة بحثا عن آثار
شوقي ، أن له نثرا دفيناً في بطون النثر في الصحف . وقد كنت
بمعاصرتي لطران أعلم أن له آيات من النثر الخالد ، ولكني كنت
أجهل وجود ذلك النثر في نثر البحيرة ، وكثافة الغاب ، وجمال
السماء ذات النجوم . على أنني لا أدعي أنني استغفرت دراسة مطران ،
لأن بعض المصادر كجريدة « الأخبار » ، التي كان يصدرها الضامن
صديق مطران والحلي بالاره ، لا يوجد منها إلا أعداد قليلة في المتناول.
وهذه كارثة أدبية تاريخية يجب على مكتبات الشرق جميعاً أن تعصل
على الحد منها وتداركها .

ومعظم الصحف الأسبوعية واليومية التي نشر فيها شعر لشوقي
بعضاً لا وجود له أو في حكم الذي لا وجود له ، وبعضها كالتبليغ
الطلق ، واستغفني من الوجود بعد سنوات . وحسب القارئ أن يعلم
أن جريدة « الجهاد » التي صدرت في أواخر سنة ١٩٣١ ، وكانت تنشر
شعرا لشوقي ، تنقصها الأعداد الخمسة والأربعون الأولى .

وقد اصنعت نصف تراننا الأدبي القديم ، لأنه كان يعتمد على الرواية
وسجل الناسخين الجهاد . ولكننا اليوم مع وجود المطابع والآلات
الكتابة والآلات التصوير وعلم التحقيق ، سنطيع بأعمالنا نصف التراث
الأدبي الحديث ، وهو تراث ضخم ، تراث النصف الأول من القرن
الحالي ، تراننا .

فلنعمل على إنقاذ متناقصين .

((قافلة الزيت)) - الظهران

محمود صوري

لكن النساء عامة يمثلن طائفة للسعادة أعظم من طائفة الرجال ،
كما يعتقد الدكتور دايلد فلينك ، من فريق جامعة كاليفورنيا . وهو
بشيف قائلا : « تظهر الدراسات التي أجريتها أنه حين ترضى المرأة
رغبتها في إيجاد بيت وعائلة ، وأصغر على زوج محب ، تصبح أكثر
سعادة من الرجل » .

ويقول العلماء أن العمل الجهد والمسؤولية هما العاملان الأكثر
أهمية في جعل الرجل المتوسم سعيداً . ورجال الأعمال هم عادة أكثر
سعادة من أساتذة المدارس أو موظفي المكاتب .

ولم فريق من العلماء من جامعة ويسكونسين الأمريكية باستقصاء
الف شخص متقدم في السن ، وكاد يجمع هؤلاء على أن أسعد سنوات
حياتهم كانت ما بين سن الخامسة والعشرين وسن الخامسة والأربعين .
وحيث قام فريق العلماء بنسبه باستقصاء أشخاص تتراوح أعمارهم حالياً
بين الخامسة والعشرين والخامسة والأربعين ، تبين للعلماء أن هؤلاء
الأشخاص للتلون لأن الوقت يمر سريعاً وهم يشعرون أنهم لم يحققوا
أي هدف بعد .

والقريب في الأمر أن عدداً قليلاً جداً من الذين سطهم الاستقصاء
قالوا أن الطفولة كانت أسعد فترات حياتهم ، كما أن معظمهم لم يذكر
بصورة خاصة أنه استمتع بالسنوات الأخيرة من الرافة .

ويشير العلماء إلى نتيجة غريبة أخرى برزت من دراسة أجريست
في فرنسا مؤخراً . فقد تبين نتيجة هذا الاستقصاء الذي شمل الذكور
والإناث ، أن واحداً بالثلث من الرجال فقط ، وخمسة بالثلث من النساء
فقط ، يتقنون أن الحب ضروري وأساسي للسعادة . أما الكثيرة الأشخاص
الذين سطهم هذا الاستقصاء ، فقد افترضوا عن قناعتهم التام بأنهم يتقنون
أكثر سعادة لو أنهم يتقنون المزيد من المال ، وكان المال برايمهم هو الشرط
الأساسي للسعادة ، والصيغة الجيدة للشرط الثاني .

لكن العلماء يشعرون ، في استنتاجاتهم النهائية الشاملة ، على
أنهم لم ينجحوا إلى الأمانة وحدها ، كانت كافية لجلب الكثير من
السعادة إلى الناس . كما أنهم يشعرون على أن معلم الرجال والنساء
السعداء الذين يتقنون أثناء الدراسات ، كانوا هؤلاء الذين يقومون بأش
الأعمال ويتحملون أكبر المسؤوليات .

جريدة « لسان الحال »

علماء يبحثون عن وصفة للسعادة

الزوجات والأزواج الذين يتشارجون ويقلد بعضهم البعض الآخر
بالصنوع والزهرات وغيرها من الأواني البيتية يستمتعون بحياتهم
عادة أكثر من هؤلاء الذين يكونون غصيم . هذا ما يقوله علماء النفس
على الأقل . فغالباً الأشياء نادراً ما يقصدون أصابة أهدافهم البشرية ،
والطريق المتحم على الجدار هو لمن يفس بدفعه الرء للتفتيس عن
مشائره المكنية . وإلى ذلك ، فإن قلب الصحن أو الزهرة يؤدي
كثيراً من الأحيان إلى إنهاء النشجار فجأة - بالصلابة والتهنئة .

توصل إلى هذا الاستنتاج ، بصورة مشتركة ، عدد من فرق الأبحاث
الجامعية التي كانت تبحث عن وصفة للسعادة وتحاول اكتشاف أي نوع
من أنواع الناس يرجع أن يفتتروا السعادة أكثر من غيرهم .

فقد قال فريقان علميان أميركيسان - أحدهما من جامعة
ويزيان بولاية أوهايو والثاني من كلية الطب التابعة لجامعة كاليفورنيا ،
أن الذكاء والسعادة لا يتفقان بالضرورة . ويقول هؤلاء العلماء أن الرجال
والنساء الأذكيا هم عادة ذوو مزاج عالي التوتر ، ومع أنهم يتكسبون
ظاهرياً أعظم طاقة للسعادة ، فإنهم يتقنون بسهولة ، ويصعب عليهم
التخلص من الكتابة .

صدر حديثاً

عن المخطئ

رواية اجتماعية علمية

دكتور محمد عبد الحليم

مترجم
دكتور محمد عبد الحليم